محمد حياه

رواية

الحفل الأسود

ليلة الاعتراف بالقتل

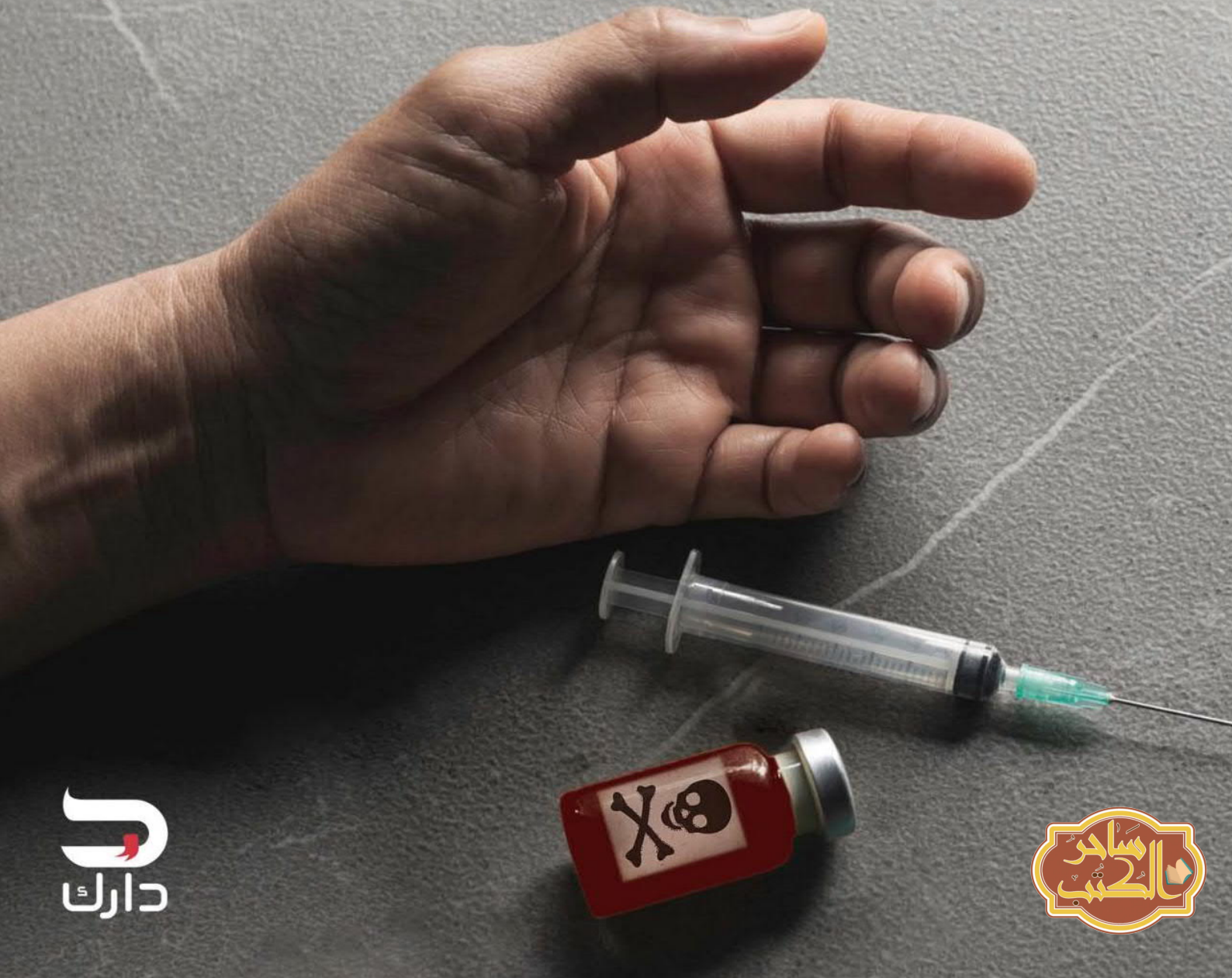

دارك

ساحر الكتب

إهداء

أهدي هذا العمل لروح والدي

وأتمنى أن يكون راضيًا عني

إلى أبي/ السيد محمد محمود

المقدمة

(المحقق)

غريب عقلي، يجعلني أفرط كثيرًا في التفكير بلا هدف حتى أشعر أني مصاب بالغباء المفرط، اللعنة عليّ، هل أنا غبي حتى أفعل ما أفعله الآن؟ لست أعلم هل هبط مستواي لمثل هذا المستوى من الطيش؟ كيف ألهث وراء هذا دون تعقل؟ لأن يجب عليّ ذلك.. نعم.. نعم سوف أفعلها ما حييت.. سيشهد العالم، كل العالم، بأني أستحق حمل لقب عائلتي؛ أنا لا يعيبني شيء.. فالأمور بخواتيمها والحكم على الأفعال لا الأقوال، وها أنا سوف أفعلها على الرغم مما أُعانيه الآن من صداع الرأس، والذي لن يوقفه سوى سيجارة.. يا لحظي التعس ليس في العلبة غير سيجارة واحدة، هل أجد مكانًا هنا لبيع السجائر؟ كيف أعثر عليه في منتصف الليل وأنا في هذا المجمع السكني الفاخر غير المأهول بشكل كبير؟ وهذا على ما أظن بسبب أنه مجمع جديد نوعًا ما.

أظن أنه بناء على الإحداثيات التي على الهاتف أني قريب من المكان المقصود؛ ها هو المنزل رقم 1023 كما وردَ في الرسالة، سوف أترك سيارتي اللعينة هنا أمام سور هذا المنزل، وأتمنى أن تكون ليلة تستحق كل هذا العناء، فأنا ليس معي

سوى سيجارة واحدة وسلاح ناري.

يتضح من الإضاءات المتفرقة على سور هذا المنزل، أن المنزل هو الوحيد في هذا الشارع الذي عثر على مالكه، لأن باقي أسوار المنازل بالشارع يكسوها الظلام إلا من عواميد الإنارة به فتفضح الكثير من واجهتهم الأمامية الصامتة.

أدنو من البوابة الرئيسية للمنزل أتلفت حولي، لم تكن مغلقة، دفعتها ففتحت معي، رأيت باحة واسعة ساعدني ضي القمر مع ضوء عواميد الإنارة بالخارج على كشف محدود منها، وكان ينتصفها بستان قصير من الزهور يغطي المساحة الأكبر منه العشب الأخضر، يعبر من خلاله ممشى مموج غير منتظم حتى ينتهي لباب المنزل الأمامي، تلفتُّ حولي ولاحظت على الجانب الأيمن من هذا البستان طريقًا ممهدًا للسيارات، وعلى محاذاة السور كانت توجد غرفة الحارس، أخطو بحرص نحوها، اقتربت منها حتى كشف بابها ونافذتها –المفتوحان على مصراعيهما- عن فراغها من أي شيء وبعدها كانت تقف سيارة في مكان صغير يكاد يتسع لها، استدرت نحو الجانب المقابل للسور بحذر، والذي يقع بالجانب الأيسر للبستان، لاحظت وجود طريق ممهد مماثل وبمحاذاته بالقرب من السور عدة سيارات فارهة مختلفة الأنواع تقف بشكل غير منظم وكان عددهم أربع سيارات، لا

أرى شيئًا مريبًا حتى الآن، توجهت بنظري نحو المنزل الذي يقع في آخر الباحة ويتكون من طابقين، الظلام يسيطر على الدور العلوي بعكس الدور الأرضي المضاء فيه أماكن عدة.

أتحرك بحرص وأنا أتحسس خطوتي حتى وصلت للممشى وأنا أنصت لأصوات عدة قادمة من الداخل ترتفع كلما اقتربت من الباب الأمامي الذي يقع في المنتصف، وضح أن هناك شجارًا لأصوات ذكورية، أقف حتى أعدل من نفسي، أخذت نفسًا عميقًا، نعم أنا مستعد لما هو قادم، أضغط برأس هاتفي على مفتاح الجرس، صدر صوته وسكت الجميع بالداخل وكأنه صرخ فيهم أخرسَهم، لحظات ولم يُفتح الباب، كررت ضغطي عليه مرة ثانية وتبعها هذه المرة همهمات مختلفة من الداخل، حتى سمعت صوت الباب يُفتَح بعض الشيء ليظهر أمامي رجل ذو بشرة بيضاء تميل للاحمرار، أربعيني أو أكثر، هيئته وجسده الرياضي لا يظهران عمره الحقيقي، منمق الشعر والمظهر يرتدي قميصًا أحمر شبابيًّا مفتوحًا لنصف صدره والذي تعتليه سلسلة من الذهب، ابتسم لي حتى ظهرت أسنانه التي تشبه أسنان فناني هوليوود وسألني بصوت رخيم:

- مَن حضرتك؟

قبل أن أجيبه، هناك من دفعه بعض الشيء وفتح الباب

أكثر فطلت عليَّ رأس رجل خمسيني لمعت صلعته أمامي ثم لحقته بطنه البدينة، فأزاح خلفه بعض الشيء الرجل الأول، ثم استند بيده اليمنى أسفل بطنه وكأنه يثبتها من الاهتزاز، ورفع باليد الأخرى نظارته الطبية السميكة مردداً بابتسامة مزيفة:

- أجل، مَن حضرتك؟

أخرجت محفظة نقودي وفتحتها ليريا هويتي وأنا أنظر لكليهما وأجيب بثقة:

- أنا النقيب محمود صقر معاون المباحث بالقسم.

ما إن أنهيت كلماتي حتى لاحظت نظرات الصدمة عليهما برغم أن الرجل الأول حاول إخفاءها، ولكن الرجل الثاني فضحته حشرجته، ولكن كان الأكثر غرابة هو صرخة رجل خلفهما، والذي دفعهما وفتح الباب عن آخره وهو يتقدمهما باندفاع، مغلَّفًا بشحوب وجهه المفزوع والمبلل بعرقه، رغم أنه كسر الخمسين من عمره بسبب شيب شعره إلا عضلات وجهه الجامدة تخدعك، الذي كان السبب في انزلاق عويناته الدائرية الرقيقة من على أنفه الذي يشبه منقار الصقر ولا أخفي أن عرض منكبيه أبرز قصر قامته بعض الشيء، تحدث بصوت ممتلئ باللعلعات المنكسرة والخوف، وأشار بإصبعه لداخل المنزل:

- أنا.. أنا.. ليس لي علاقة.. بالجثة.. حضرة الضابط، أنا بريء.. بريء.. أقسم لك.

كانت كلماته كالبرق الذي ضرب أجسادَ من خلفه ثم نظروا للداخل أكثر وفتحوا الباب ليظهر ثلاثة رجال كانوا يتسترون خلف الباب، أحدهم كان نحيفًا وطويل القامة وحاد الملامح، مُتصابيًا تظهر علامات الصبغة على شيب شعر رأسه وشاربه وحاجبيه الكثيفين واللذين انعقدا وهو ينظر لي بغضب، والثاني كان أكثرهم سمرة، أشيب الرأس يضع يديه على وجهه وكأنه يندم على ما فعله صديقه القصير باعترافه الأخير، ويتوسط الاثنين رجلٌ قعيدٌ على كرسي متحرك أشيب الرأس والشارب تجحظ عيناه فزعًا ويداه ترتعشان وهو يحاول أن يقبض على عجلات كرسيه، أدخلت محفظة نقودي في جيبي مرة أخرى، ثم وضعت يدي على سلاحي الناري، عدت للخلف قليلًا وتلفت حولي بحرص مراقبًا المكان بشكل أكثر حرصًا، تبسمت للجميع بحذر وأنا أنظر في عيونهم متحفظًا ثم وجّهت بصري نحو الرجل القصير وسألت باستنكار:

- إذًا يا صديقي البريء، مَن الذي له علاقة بالجثة؟

التفت بدون تفكير وأشار نحو الرجل القعيد ثم تبعه الجميع واحدًا تلو الآخر مؤكدين ما فعله، ولكن كانت صدمة

الرجل القعيد منهم قد وصلت ذروتها وهو ينظر لأصابعهم وهي تشير نحوه كأنها سيوف مُسلَّطة، فانفرج فمه واتسعت عيناه ذهولًا.

الفقرة الأولى

الحقيقة لعنة

(عزمي عبادة)

في أجواء صيفية خفيفة كنت أجلس بمكتب عيادتي شاردًا في لعبة الكلمات المتقاطعة في الجريدة الصباحية في محاولة للتخلص من الضغط النفسي وحالة الضيق التي أشعر بها بعد أن أنهيت مكالمتي مع زوجتي (إلهام)، كنت أشكو لها من اتصال (نوار)؛ أحد أولاد أعمامي بسوهاج وأسلوبه غير اللائق معي وتهديده المستمر لي.

إنهم سوف يستمرون في مقاضاتي بسبب سرقة والدي لحقّ إخوته في الميراث كما يزعمون، وذلك بسبب كتابة جدي نصف التركة باسمه، وإذ لم يأتِ القضاء بحقهم حينها سوف يكون الدم هو حلهم الثاني، أعلم أنهم لا يقصدون بذلك قتلي أنا، بل يقصدون بذلك قتل ابني (يحيى)، ابني الذي رأيته أمامي يكبر وينضج حتى أصبح طالبًا في عامه الأخير من كلية الطب وبعدها سوف يكون طبيبًا شهيرًا مثل أبيه، كم أنتظر هذا اليوم منذ زمن، ولذلك لن أسمح لأي أحد أن يلمس خصلة واحدة منه، سوف أجعله يكمل دراسته بالخارج، نعم هذا هو الحل، ينهي اختباراته هذا العام وبعدها

لن يبقى يومًا واحدًا في هذا البلد.

في تلك اللحظة قطع شرودي طَرق (هِبة) الممرضة على الباب ودخلت في أدب قائلة وهي تعطيني ورقة ببيان المريض القادم:

- السيدة ميرنا عزيز حجزت موعدين من قبل ولَغتهما، ولم تأتِ والغريب أنها لم تطلب مقابل الحجز، ولكن هذه المرة حجزت وأتت بنفسها وهي تنتظر بالخارج.

- أدخليها.

طبقت الجريدة ووضعتها بدُرج المكتب ثم عَدلت من جلستي متأهب لدخولها، لحظات ودخلت هبة وخلفها دخلت سيدة طويلة القوام ترتدي فستانًا أزرق وحقيبة جلد من نفس اللون تحمل شعارًا لشركة ملابس غالية، ولكنها تغطي وجهها بوشاح أسود وتخفي ما تبقى منه بنظارة كبيرة سوداء، حاولت ألا أُشعرها بالحرج ونهضت مبتسمًا واستقبلتها مرحِّبًا، ثم جلستُ مكاني وأنا مبتسم لها منتظرًا أن تتحدث، ولكنها ظلت صامتة حتى لاحظت أنها من الممكن أن تكون محرجة من التحدث في وجود هبة التي تنظر لها في ريبة من أمرها، تنحنحت وأنا أنظر لهبة وأمرتها بنبرة جامدة:

- شكرًا، يمكنك أن تنتظري بالخارج يا هبة الآن.

- تحت أمرك يا دكتور.

قالتها وانصرفت على مضض حتى أغلقت الباب خلفها، ما إن سمعت السيدة صوت غلق الباب حتى التفتت لتتأكد من غلقه، ثم عادت ونظرت نحوي وهي تخلع نظارتها وتنزل الوشاح لتكشف عن هويتها، والتي كانت تشبه كثيرًا إحدى المطربات، ابتسمت لي وقالت بجدية:

- آسفة على هذا، ولكن كان يجب أن آتي لكِ متخفية فلا أريد أن يعرف أحد من الصحافة عن زيارتي هذه أي شيء.

- بالتأكيد سيدتي فهذا شرف المهنة، ولكن دعيني أتأكد، أنتِ «كارما» المغنية المشهورة صحيح؟

أومأت برأسها مجيبة بطريقة سريعة لسؤالي، وأكملت باندفاع:

- نعم أنا، أنا.. هل هذا ما يهمك؟ أنت لا يهمك شيء، أنت تشعر بأمان، أنت حياتك مستقرة، أنا أعيش في خوف، على روحي ومستقبلي وابنتي، ابنتي هل تعي ما معنى هذا؟ لا أظنك سوف تفهم أو تشعر بما أشعر به؟ كلكم هكذا أيها الرجال تملكون قلوبًا من الفولاذ.

لم أفهم ما ترمي له، إذا كان شيء يخص ابنتها فلمَ لم تأتِ بها، فأعلنت عن عدم استيعابي:

- هل من الممكن أن تهدئِي قليلًا؟ آسف سيدتي هل من الممكن أن توضحي لي الأمر أكثر؟

أومأت برأسها في محاولة أن تتقبل كلامي وأزاحت الوشاح عن رقبتها ليظهر أمامي تشوه جلدي نابع من حرق من الدرجة الثانية أتلف الجلد كثيرًا، فحاولت أن تغطي رقبتها مرة أخرى في عصبية، فرفعت كف يدي لكي تتوقف ونهضت من جلستي وتحركت نحوها لأرى هذا الحرق عن قرب أكثر، اقتربت منها فأجابت فضولي دون أن أسأل بنبرة حزينة:

- طليقي المجنون هو من فعل بي هذا، أتصدق هذا يا دكتور؟ كان يريد أن ينهي مسيرتي الفنية، ينهيها هكذا بكل سهولة، ولكن غباءه كان هو المنقذ لي، فبدلًا من أن يرمي عليّ ما تحتويه القارورة الصغيرة من ماء النار، ألقى بالقارورة نفسها فاصطدمت في رقبتي وخرج منها قطرات بسيطة وفعلت ما فعلت كما ترى، ثم وقعت على الأرض وأفرغت ما تبقى منها.

فسألتها بريبة وأنا أضغط على الحرق قليلًا لمعرفة درجة الندوب به:

- لماذا كل هذا الحقد النابع منه ليفعل ما فعل؟

- لأني لعبته التي لا يريد أن يفقدها أو يلعب بها أحدٌ غيره، فعل كل هذا حتى أعود له.

- وهل يعود أحد لهذا المجنون؟

كان هذا سؤالي نافيًا لمعت عيناها وأجابتني باكية:

- لقد عُدت له في النهاية.

نظرت لها مستغربًا حتى أردفت:

- لقد هددني بابنتي «كايلا»، هذه المرة وقال وهو يرمي عليَّ تلك المادة الحارقة «سوف تكون المرة القادمة كايلا، إذا أبلغتِ الشرطة عني أو لم تقرري أن تعودي لي، أتسمعينني يا كارما لن تكوني لأحد غيري، إما أن تعيشوا معي في الدنيا أو تسبقوني إلى الآخرة وحينها لن أتأخر عليكم».

- لا، هذا هو الجنون بعينه، يجب أن تبلغي الشرطة ولا تتأخري في فعل ذلك.

نظرت لي بحسرة:

- لن تشعر بحجم الخوف على شيء عزيز عليك إلا إذا جربت أن يتم تهديدك بفقدانه، الخوف جعلني بلا عقل،

أصبحت عاجزة عن التفكير فأنا تحت رحمة مجنون ليس أمامه شيء يخسره، وأمام شخص مثله يجب أن تخضع لأمره مجبرًا والتمرد عليه هو الجنون بعينه.

كانت في موقف لا تُحسد عليه إطلاقًا، هي تحت رحمة مجنون يساومها بين الموت والموت، وهذا ما دفعني لأن أبدي تعاطفي معها وطمأنتها:

- لا تقلقي سيدة كارما، أنا تحت أمرك في أي خدمة تطلبيها منّي.

نظرت لي وهي تشعر بصدق كلامي وردت مبتسمة بعين لامعة تحبس الدموع بداخلها:

- أصبح الغناء بالنسبة لي مصيره مجهولًا حتى الآن، وهذا ليس أول مشاكلي في الوقت الحالي رغم هذا ما تظنه بكل تأكيد، وأنه من المفترض أن يكون من أول أولوياتي، ولكن...

صمتت وهي تمسح من طرفي عينها دمعة هاربة وأكملت بحزن:

- الأهم عندي الآن ابنتي، ابنتي هي كل حياتي، هي لم تتجاوز الخامسة ولكن أشعر أنها أمي ولست أنا أمها، أصبحت أحتاجها أكثر من أي شيء في هذا العالم، ولكن للأسف ما إن رأت ما أصاب رقبتي في غفلة مني وأصبحت

تخاف مني ترهبني، تصرخ فيّ إذا رأت وجهي، حتى أصبحت تستيقظ من نومها فزعًا بسبب رؤيتها أحد الكوابيس وهي تصرخ وتقولي: «ابتعدي عني أيتها الوحش أريد أمي، أريد أمي».

ظفرت بالدموع التي انتصرت على كبريائها واستطاعت أن تقفز من عينيها، دنوت منها وربتّ على كتفيها قليلًا، محاولًا تهدئتها:

- لا تقلقي سيدتي سوف تعودين لابنتك أجمل أم عرفتها، عمليتك بسيطة وسهلة سوف تأخذ بعض الوقت للتحسن، ولكن النتيجة مضمونة، ونحمد الله على أن زوجك كان غبيًّا كفاية كي يلقي بالزجاجة بتلك الطريقة ليكون الأثر بسيطًا كما نرى الآن.

نظرت لابتسامتي وشعرت بالاطمئنان وابتسمت لدعابتي الأخيرة، ولذلك أكملت الفحص عليها وأخبرتها ببروتوكول العلاج المتبع بعد العملية والتحضير المسبق لها، وتم تحديد موعد العملية بعد عشرة أيام.

بعد لقائها هذا بيومين فقط وأنا في طريقي لسيارتي بعد أن أنهيت يومي في العيادة، فوجئت برجل ضخم يجلس على حقيبة السيارة ويدخن سيجارة في بطء وهدوء وهو ينظر لي ولم تتحرك عينه فكانت مصوبة نحوي، حتى

اقتربت من السيارة وحركت المفاتيح في يدي متعمدًا كي تصدر صوتًا لعله ينتبه ويبتعد عن السيارة، لكنه لم يبالِ وظل يحدق فيّ، حاولت تجاهله وركبت السيارة وأدرت محركها، ثم نظرت في مِرآة السيارة لأجده ما زال راقدًا على الحقيبة وناظرًا لي، ينفث دخان سيجارته في الزجاج نحوي، فأدركت أن أمامي محاولة واحدة فقط من الذوق سوف أفعلها، وبعدها لن يشغلني ما يحدث لهذا الرجل، نزلت من السيارة وتوجهت نحوه محاولًا رسم الجدية والشجاعة ووصلت له وهو لم يتحرك من جلسته الغريبة فقلت له وهو ينظر لي من خلف دخان سيجارته:

- هل من الممكن أن تنهض من جلستك، فهذه سيارتي كما يتضح لك، وأنا أرغب في المغادرة الآن؟

نظر لي في صمت لحظات ثم سألني ببرود:

- هل ضايقك ما فعلته؟

تملكتني الشجاعة وأجبته بثقة:

- نعم بالطبع هذه سيارتي ولا أقبل أو أرحب بمثل تلك الأفعال عليها.

هنا عَدّل من جلسته وقفز من السيارة ليقف أمامي ويكون قريبًا جدًّا مني، نفخ دخان سيجارته في وجهي وبدأ في

التصفيق ببطء وهدوء، وردَّ وهو مبتسم بأسلوب مريب:

- أشكرك يا دكتور عزمي هذا بالضبط ما جئت كي أخبرك به.

تفاجأت بمعرفته بي وسألته مصدومًا:

- كيف تعرف اسمي؟ ثم مَن أنت؟

أومأ برأسه وأخرج من جيبه هاتفه وقربه مني، ثم شغل المشغل الصوتي به ليظهر صوتي وأنا أحدث المطربة كارما واقول لها «ونحمد الله على أن زوجك كان غبي كفاية كي يلقي بالزجاجة بتلك الطريقة ليكون الأثر بسيطًا كما نرى الآن». فابتلعت ريقي وعدت خطوة للخلف وهو يراقبني ثم صاح وهو يشير بإبهامه نحو صدره:

- أنا الغبي يا دكتور، الذي جاءت زوجته كي تقوم لها بعملية تجميل تعيدها للفن والغناء مرة أخرى.

دنا بوجهه مني وأكمل بحدة وغضب:

- كارما ملكي أنا، أنا فقط، وأنا لا أقبل أن ينظر لها أحد أو يحدثها أحد أو...

وفوجئت بمسكه ليدي اليسرى وأردف بعينين واسعتين:

- أو يمسها أحد، وبالتحديد من يساعدها على أن تعود

لذلك العالم القذر الذي تنشغل فيه عني ويحوم حولها الملاعين الطامعون فيها جسدًا ومالًا، هل تفهم ما أعنيه يا دكتور؟

أومأت برأسي في رهبة وجاوبته مرتعشًا:

- ما سوف أفعله ليس له علاقة بالغناء إنما هو فقط لكي تعود أجمل لك، أنا متأكد أنك تريد أن تراها جميلة كما كانت.

أمسك بتلابيب قميصي ودفعني نحو عمود خرساني كان خلفي وصاح بغضب:

- أنا أراها جميلة في أي شكل، ولكن الأهم أن تكون صوب عيني وتحت طوعي أنا، كلما تشوهت أكثر كلما ابتعد عالم الغناء والشهرة عنها، سواء كان هذا برغبتها أو لا، وهذا ما أريده منك فأنا ليس أمامي شيء أخسره بعدها.

رغم نبرة تهديده الواضحة فأنا لم أفهم ماذا يريد مني بالتحديد لكنه بالتأكيد يريد شيئًا غريبًا، حاولت تهدئته قليلًا:

- سوف أنفذ ما تطلبه مني، ولكن يجب أن أعرفه أولًا، فمن الممكن أن يكون شيئًا صعبًا عليَّ أو يمكن أن نجد له بديلًا افضل.

ضحك وتعالت ضحكاته ثم تركني ألحق أنفاسي متحسسًا

رقبتي من الألم، حدق في عيني ثم تحدث بنبرة ساخرة:

- كم أنت مراوغ يا دكتور، لكن يجب أن تتأكد بأنك سوف تفعل ما أخبرك به سواء رغبت في ذلك أم لا.

عاد لحدة وجهه الجامد وتأهب نحوي محذرًا بسبابته:

- وإلا سوف تنال زوجتك إلهام وابنك يحيى مصير زوجتي في تجميل الوجوه، وتأكد.. هذه المرة لن أكون غبيًا.

أخرج سيجارة من جيبه وأشعلها وتنفس من دخانها مرتين ثم أردف:

- إذا أخبرتها بعدم رغبتك في إجرائك العملية بسبب انشغالك مثلًا أو أن حالتها ميئوس منها، فسوف تبحث عن غيرك بالتأكيد، فهي عنيدة أنا أعلمها جيدًا، وأنا أريدك أن تقبل العملية ولكن...

دنا مني ونكز على كتفي بقوة وهو يقول:

- بدلًا من أن تكون عملية تجميل سوف تكون عملية تشويه.

لم أصدق ما قاله فأجبته رافضًا بعين متسعة:

- لا أنا لم...

لم أستطع أن أكمل، فلقد أمسك شفتيّ بقبضة يده وهو يأمرني بالصمت ثم تفوه كلماته بانفعال:

- أنا لا أنتظر قبولك أو رفضك أنا أريد منك تنفيذ ما أخبرتك به بأسلوب تختاره أنت، فهذا عملك، وتعلم كيف تفعل ذلك بأسلوب لا يقاضيك في النهاية وكأنه حادث قضاء وقدر، أريد منك أن تجعلها تمتلك عاهة تحتاج سنين وتكلفة علاجها باهظة، هذا إن توافر من الأساس. سوف أمنحك يومين للتفكير في كيفية تنفيذ ما أخبرتك به، وسوف أعود لك أو ليحيى.. كما ستقرر أنت إلى من ستكون زيارتي القادمة.

(المحقق)

دخل الجميع أمامي للداخل وهم يتلافون نظرات القعيد المتربصة لهم، وما إن عبرت عتبة الباب حتى رأيت جثة تتوسط الأرض مكشوف عن وجهها الشاحب ورقبته؛ رجل أصلع كبير في السن يتدلى من أسفل ذقنه خصلات بيضاء طويلة، ملفوف بملاءة بيضاء تغطي جسده حتى قدميه، ما إن رأيته حتى ركلت الباب بكعب قدمي كي أغلقه خلفي، ثم أخرجت السلاح الناري الذي معي وأشهرته في وجوههم جميعًا وصحت بنبرة حادة:

- لن يتحرك أحد من هنا حتى تأتي قوات الشرطة من القسم، ولن يشفع عندي سنكم الكبير فأنتم أمامي مجرد عصابة من المجرمين القتلة فحذاري ألا تُطيعوا أوامري، والآن اصطفوا جميعًا بالخلف عند الحائط ولا يقترب أحد من تلك الجثة، أو يتحرك شبرًا وإلا أطلقت الرصاص عليه، فحذاري أن يحدث هذا.

نظر الجميع لبعضهم البعض وتنوعت نظرات الغضب والندم والتوسل والتردد فيما بينهم، ونفذوا أمري مجبرين، ولكن فوجئنا بأن هواتفنا جميعًا صرخت بنغمة استقبالها لرسالة في نفس الوقت، أمرتهم محذرًا:

- لا أحد يتحرك أو يمسك هاتفه.

وبكثير من الحذر والحرص أخرجت هاتفي وفتحت الرسالة القادمة من رقم مشفر وكان نصها كالتالي:

«أنا القاتل وما زلت بالمنزل، ولن أسلم نفسي إلا بعد مرور ساعتين من الآن، الأهم ابقوا بجوار الجثة ولا يخرج أحد من المنزل ولا تبحثوا عني وإلا هربت- (الثلج الأحمر)».

نظرت لهم في شك وسألتهم:

- هل هناك أحد غيركم بهذا المنزل؟

نظروا لبعضهم في ريبة وأجابوني بالنفي، حتى قال الرجل القعيد بشيء من التأكيد بصوت أخن واضح:

- لا أحد سوانا يا حضرة الضابط أؤكد لك على هذا، فلقد كان من المفترض حضور ثلاثة من الخدم ولكني حاولت التواصل مع مندوبهم عدة مرات حتى رد علي بالاعتذار ولذلك قررنا خدمة أنفسنا حتى فوجئنا بتلك المصيبة.

وأشار بيد مرتعشة نحو الجثة ثم أردف بحروف تخرج نغماتها من أنفه:

- وأنا أقسم لك إني لا أعلم عنها أي شيء.

كنت أنصت له وأنا أتفحص المكان من حولي لأرى هذا

المنزل بشكل أكثر دقة وأين يكون مُرسل تلك الرسالة مختبئًا، إذا فرضت صحتها من الأساس، وحتى أدرس طبيعة مدخل ومخرج هذا المكان، فكان المنزل حديث الأثاث المنزلي والتحف واللوح، لا يخلو جدار خارجي إلا وبه نافذة، يتكون الدور الأرضي من غرفتي استقبال متماثلتين في التكوين ولكن مختلفة في التصميم والألوان مفتوحين على بعض يفصل بينهما بهو صغير في النصف، نقف جميعًا بالغرفة التي تقع يمين البهو والباب الرئيسي الذي دخلت منه ومعنا الجثة ترقد أرضًا بالقرب من الأريكة الرئيسية، وعلى جانبيها توجد طاولتان رفيعتان متوسطتا الطول عليهما زهريتان، وعلى الحائط الذي يقع خلف الأريكة علقت لوحة لراقصة الفلامنكو الشهيرة، بالإضافة لأربعة مقاعد وهذا كله يقع في النصف الأول من الغرفة، وفي النصف الثاني من نفس الغرفة، وما يميزها عن الغرفة المماثلة لها أن يوجد بها ركن للمشروبات الكحولية المميز، أو كما يسمونه (البار) بالمقاعد العالية والزجاجات والكؤوس المتراصة على الرفوف خلفه على الحائط، وكان على طاولته زجاجة خمر فرغ أكثر من نصفها وحولها ست من الكؤوس شبه الفارغة إلا من قطع ثلج تذوب وقطرات باردة تبرز على زجاجها، وبين الغرفتين في منتصف هذا البهو رأيت ثلاثة أشياء: طاولة طعام ثم بعدها دَرج للدور العلوي، الذي تستر بالظلام

ويمكن أن يستر الكثير، وفي آخر هذا البهو بجوار الدرج توجد غرفة المطبخ المظلمة هي الأخرى، ولولا إنارة البهو والتي كشفت جزء من المطبخ ما كنت عرفت عنه شيئًا، عدت للنظر لهم وتقدمت نحوهم بخطوات ثابتة وأنا أشهر السلاح الناري وتحدثت بنبرة صارمة:

- أنصتوا لي جيدًا، سوف أمر عليكم واحدًا تلو الآخر وعندما آذن للشخص الذي أقف أمامه، عليه أن يخرج هاتفه بهدوء وببطء ويفتحه لي على الرسالة التي استلمها الآن، ويرفع شاشته نحوي دون أن يقرأها أو يمحوها أو يفعل أي شيء آخر، مفهوم؟

أومأوا بالموافقة وأنا أرى في عيونهم الرفض لطلبي وتلبيته اضطرارًا ليس أكثر، فدنوت منهم واحدًا تلو الآخر، وكانت المفاجأة لي أنهم استلموا جميعًا نفس الرسالة التي استلمتها، حاولت أن أخفي دهشتي قليلًا مما دفعني لسؤالهم حتى أراقب ردود أفعالهم:

- يمكنكم قراءة الرسالة وإخباري مَن المرسل وماذا تعني؟

أداروا شاشات الهواتف نحوهم وبدأوا في قراءة نص الرسالة فصرخ الرجل القصير ذو العوينات الذي فضح أمر الجثة وهو يشير نحو القعيد:

- سواء كان هو أو شريكه ففي الحالتين القاتل هنا يا حضرة الضابط أرجوك اقبض عليه واتركني أرحل، لا أريد أن أموت هنا.

حاول أن يتقدم نحوي فرفعت السلاح قليلًا لأعلى حتى تقهقر لمكانه بجسد ينتفض، وهنا تحدَّث الرجل القعيد في محاولة لإقناعي:

- يتضح من الرسالة أن القاتل يختبئ هنا وسوف يسلم نفسه في النهاية وهذا دليل على أننا لسنا القتلة، فأرجو منك أن تهدأ قليلا يا حضرة الضابط وتنزل سلاحك هذا فليس نحن من يجب أن تشهره في وجهُه.

فأجابته بحدة:

- هذا ليس دليلًا على شيء من الممكن أن تكون تلك لعبة منكم ليس أكثر، ولا تنسَ أنك الوحيد الذي أجمعوا عليك هؤلاء الرجال منذ لحظات أنك القاتل، فكيف تريدني أن أصدقك؟

نظر القعيد للرجال بجانبه وكأنه يتوعدهم، ثم ابتسم ساخرًا ووضح صوته الأخن أكثر:

- لا تصدق أحدًا هنا يا حضرة الضابط.

هنا تنحنح الرجل ذو القميص الأحمر مشيرًا لي كي يلفت انتباهي له في غرور وقال وهو يحك أسفل ذقنه بصوت أكثر رخامة:

- نحن في جميع الأحوال خاسرين، قتلة يجتمعون حول جثة في مسرح الجريمة، جريمة مكتملة الأركان.

أمال برأسه يمينًا ويسارًا متحسرًا، وظهر على الجميع علامات القلق ونظروا نحوه منتظرين باقي حديثه حتى تنهد وأردف:

- أرى أن نأخذ بأكثر الاحتمالات ربحًا، إذا أبلغت الشرطة الآن وقبضت علينا يا حضرة الضابط، فمن الممكن أن يهرب القاتل الحقيقي، ويُحكَم علينا ظلمًا ونخسر كل شيء، وتكسب أنت شرفًا وهميًا من الممكن أن تكون مسؤولًا عن أي جريمة يفعلها هذا القاتل بعد ذلك، لأنك أهملت في واجبك وتركته يهرب، وهذا الاحتمال الأول.

أكمل بثقة أكثر بعدما رأى نظرات الاستحسان من الآخرين:

- أو أن تنتظر المُهلة المقترَحة من القاتل في رسالته وحينها سوف تقبض على القاتل الحقيقي إذا صدق في قوله وتعلم حينها أننا أبرياء، أو تقبض علينا جميعًا بدون استثناء أحدًا منا.

- وحينها سوف تقبض على الفاعل الحقيقي لتلك الجريمة وتنال شرفًا حقيقيًّا.

قالها الرجل البدين بصوت ناشز وهو ينظر لي بعينين واسعتين، حتى خرج الرجل أسمر البشرة من صمته وتحدَّث في تلعثم وتلجلج:

- ساعتان فقط لن تفرقا في حياتك شيء حضرة الضابط، ولكن من الممكن أن تنقذا أعناقنا من حبل المشنقة.

فكرت مليًا فيما قالوه وأنا أتحرك أمامهم ذهابًا وإيابًا، وهم يتابعون ذلك في ترقب وقلق حتى وصلت لقراري، ملأت صدري بالهواء وأخرجته في هدوء وبطء متعمَّد حتى يشعروا بأنني ما زلت مَن أقود هذا الحدث قائلًا:

- إذا وافقت على طلبكم بتأجيل إبلاغ الشرطة بالجريمة لمدة ساعتين هذا ليس معناه أني أصدقكم أو ينتابني شعور بالبراءة نحوكم، امحوا هذا الاحتمال من مخيلتكم، أنا لن أجلس بجواركم نتحدث ونتسامر حتى تنتهي الساعتان، بل سأبدأ تحقيقي المبدئي معكم جميعًا خلال تلك الفترة.

وهنا أشرتُ بيدي نحو أركان الغرفة التي بها الجثة وأمرتهم بحِدة:

- سيقف كل واحد منكم في ركنٍ من هذه الأركان ولا

يتحدث أو يتواصل مع غيره، وأنا سوف أقف بغرفة الاستقبال الأخرى التي أمامكم ناظرًا لكم أراقب كلَّ واحدٍ فيكم، وسوف يكون معي أحدٌ منكم أحقق معه، وأثناء ذلك لا يتحدث أحدٌ فيكم مع الآخر، حذاري أن يحدث ذلك، ومن سيفعلها سيجد مني ثلاثة أمور.

رفعت السلاح بجانب وجهي ورفعت باليد الأخرى ثلاثة أصابع وهم الإبهام والسبابة والوسطى وتلك هي الإشارة الثلاثية المميزة لي، وأردفت:

- أولًا سوف يأخذ رصاصة في قدمه، وأظن أن في عمركم هذا فهي تكفي لشل حركتكم، وثانيًا سوف أُهاتف القسم ليأتوا بالقوات ويقبضوا عليكم جميعًا، وثالثًا سوف تكونون ضيوفي في زنزانة القسم الـ VIP، وهذه خدمة مميزة مقدمة من القسم للمجرمين أمثالكم بكل تأكيد.

رغم الضيق على ملامحهم إلا أني رأيت في عيونهم نشوة الانتصار فزادَ هذا فيّ من شك، وأثناء تفرقهم وتحرك كل واحد منهم ليقف بركن من أركان الغرفة متباعدين كما أمرتهم، أمسكت هاتفي وحاولتُ الاتصال برقم من أرسل الرسالة لعلّي أفاجئهم برنين هاتف القاتل المُرسِل لتلك الرسائل، إما أن يكون واحدًا منهم أو يكون أحدًا غيرهم مختبئًا ونعرف مكان اختبائه.

وضعت الهاتف على أذني وعيني تراقبهم جميعًا، حتى بدأ الرنين في أذني أسمعه، ولكن لم يُصدَر أي صوت سواء منهم أو من أي مكان بالمنزل، الصمت ما زال سيد الموقف، إذا كان القاتل هنا إذًا فهاتفه على الوضع الصامت أو الهزاز بكل تأكيد، فحاولت أن أُلاحظ أي تغيُّر يطرأ على أي واحد منهم، ولكنهم كانوا يتصرفون بشكل عادي، وكأنهم يدركون ما أفعله، فشلت إحدى حيلي معكم أيها الأوغاد، ولكن لم تفرغ جعبتي بعد، سوف أبدأ التحقيق ولن تكون ليلة سهلة عليكم أعدكم بذلك.

تأكدت من ثباتهم في مواقعهم المتفرقة ثم أشرت للرجل القصير الذي فضح أمرهم من البداية فسوف يكون فاتح شهية خفيفًا في بداية التحقيق ولن يهدر الوقت، فتبعني بخطوات سريعة حتى اخترت مقعدًا يكون ظهره هو المقابل لهم، فلا أريد مَن أحقق معه أن يتأثر أو يؤثر على الآخرين، وفي نفس الوقت سوف أقف أنا أمامه حتى أراقب الجميع ويكون الجميع في مجال رؤيتي، أشرت له أن يجلس فنفّذ أمري ولكنه حاول أن يضع يده في جيب بدلته الأنيقة، وحينها لم أتمهل في إشهار السلاح نحوه، فشهق فزعًا وردَّ بتوتر:

- سوف أُخرج منديلًا ليس أكثر.

لاحظت في لهجته أنها تمتزج قليلًا باللهجة الريفية بعض الشيء فعلمت أنه من أصول ريفية، أومأتُ له بالموافقة على مضض، وبالفعل أخرج منديلًا مبللًا وحرصَ أن يمسح يد المقعد به جيدًا، ثم جلس ببطء وحرص، وهنا لاحظت أكثر تفاصيل في هيئته وهو أنه منمق الملبس بشكل كبير، أزرار بدلته تلمع مثل حذائه الأسود الأنيق، يداه تشعان بياضًا كأيدي النساء الحريصات على نظافة ونضارة بشرتهن، حاولت أن أصمت قليلًا لأراقب رد فعله المتوتر والمُرتبك، حتى مال برأسه نحوي وهمس لي:

- القاتل كما أخبرتك من قبل هو (حسن) هذا القعيد، أو الذي يُمثّل ويخدعنا بدور القعيد هذا، إنه هو بلا شك حضرة الضابط.

انخفضت له برأسي وقلت بهدوء وصوت خافض مثله ولكنه حاد أكثر:

- أولًا أنا لم آذن لك بالكلام، يجب أن تتبع أمري أنا ولا أحد غيري، ولكي أستطيع أن أكمل التحقيق دون أن تؤثر الإجابات على الباقين، سوف نكمل حديثنا بثلاث قواعد لصوتنا في هذا التحقيق يجب أن تعلمها جيدًا.

وهنا أشرت بثلاثة أصابع من يدي إشارتي المميزة وأنا أكمل:

- الحديث بصوت خفيض وببطء وبوضوح، تلك هي قواعد التحقيق الثلاثية.. واضح ما أقوله؟

- نعم، نعم.

هنا دنوت منه ومازالت اشارتي المميزة ثابتة وأكملت:

- جيد، أريدك أن تجيبني على ثلاثة أسئلة بالترتيب، مَن أنت؟ وما علاقتك بالآخرين؟ ولماذا تَتهم القعيد بأنه القاتل هذا إذا كان قعيدًا كما أخبرتني؟

بلع ريقه وحاول أن يكسر جمود وجهه وهو يبتسم ابتسامة في محاولة أن يستر خلفها تردُّدَه لتظهر تجاعيد جوانب العين خلف نظارته الرقيقة، ثم بدأ حديثه:

- أنا اسمي (جلال عويضة) دكتور جراحة عامة في إحدى المستشفيات الخاصة، أعرف الجميع هنا لأننا نعرف بعضنا منذ أربعين عامًا عندما كنا زملاء بكلية الطب ولكننا لسنا دفعة تخرج واحدة فكان هناك من يكبرنا بسنتين أو ثلاث مثل (حسن راتب) و(عزمي عبادة) أو يصغرنا بسنتين مثل (طه عبد العزيز) و(رشدي فاروق)، أما (أنور لبيب) فكان دفعتي.

أخرج جلال منديله المبلل وعاد بمسح يده وعرق وجهه

بيد مرتعشة وأرجل تهتز، وهنا تفاجأت بالرجل ذي الحواجب الكثيفة يشير إليَّ بصوت ناشز مزعج:

- هل يمكنني أن أدخن السجائر أم سوف تبلغ والدتي؟

نظرت له باستخفاف لمُزحته السخيفة رافضًا بإيماءة رأسي يمينًا ويسارًا، فأنا أريد أن يزداد ضغطه العصبي ويستمر حتى يكون مهيأ للتحقيق معي، وأيضًا فهو ليس أفضل مني ويجب أن يشاركني لعنتي في تلك الليلة وسيجارتي اليتيمة التي في جيبي وكم أشتاق إلى شهيقها الساخن، والتي بالتأكيد لن أخسرها مهما حدثَ فأنا لا أحرق آخر سيجارة في جيبي مهما كان إلا إذا أحضرتْ غيرها، وبالطبع لن أطلب من أحد هنا شيئًا فأنا أريد أن أظل مُمسكًا بزمام تلك الليلة، أهملت عينيه الغاضبتين مني والجاحظتين لي من أسفل حواجبه الكثيفة، وأشحت عنه ونظرت لجلال وأنا أشير له أن يكمل والذي استجاب وأردف بصوت هادئ:

- هذا الحفل هو طقس سنوي نقيمه كحفل خاص لنا بعيدًا عن أعباء العمل والأسرة، ليلة واحدة في العام نجتمع فيها نحن الست فقط نتسامر ونتحدث بدون ضغوط الحياة، ولهذا الطقس شروط أن يكون في كل سنة واحدٌ منا هو المُضيف لهذا الحفل بترتيب اتفقنا عليه مسبقًا، والمُضيف هو مَن يختار المكان ويُعِدّ برنامج اليوم كما يحلو له، الشرط

الثاني ألا يكون في مكان ثابت أو مملوك لأحد فينا، ولا نكرر إقامة الحفل فيه مرة أخرى، والشرط الأخير: تاريخ الحفل ليس ثابتًا؛ المُضيف هو من يحدده حسب ما يراه مناسبًا لنا جميعًا وكنت العام الماضي أنا المُضيف، وهذا العام هو دور حسن.

لاحظت أن قدميه اهتزّتا ازداد وعلمت بأنه يعاني من متلازمة تململ الساقين، ورأيت في عينيه غضبًا وهو يشير بوجهه للجانب الذي يقف فيه حسن هذا خلفه، ثم أردف مستنكرًا:

- هذا المجنون قتل ابنه في حادثة سيارة، وخرج منها مُدعيًا أنه قعيد، وعندما شعرنا أنه مُدبّر ومُتعمّد قتل ابنه لأنه رفض أن يزوّجه فتاةً يحبها، واجهناه بشكوكنا فأنكر وغضب وثار فينا، حتى إننا طلبنا منه صور الأشعة حتى نتأكد من ادعائه هذا، ولكنه رفض أن يعطينا شيئًا، فرحلنا غاضبين وبعد شهرين فوجئنا بدعوته لنا لحفلتنا الخاصة السنوية والمحدَّدة اليوم.

كنت أراقب الجميع وأنظر نحوهم بين الحين والحين، وهو يجيب على أسئلتي، ولكن ما قاله جعلني أسأله مقاطعًا:

- ما الذي أجبرك على المجيء؟ بقبولك لدعوته تلك أصبحت شريكًا في جريمة قتل.

اتسعت عيناه وزاغت قليلًا عن مواجهتي ثم ردَّ في خجل:

- لا أحد يستطيع أن يرفض دعوة الحفل السنوي، وهذا آخر وأعظم شروط هذا الحفل، عندما يرسل المضيف الدعوة يجب على الجميع أن يلبي دعوته بلا أعذار، ولذلك جئنا مرغمين جميعًا، وما إن احتسينا كأسًا من الشراب الكحولي كطقس افتتاحي تعودنا عليه لبدء الحفل حتى انطفأت جميع الأنوار في المنزل وأصبحت العتمة هي سيدة الموقف، فاتفقنا على أن نذهب بحثًا عن لوحة مفاتيح الكهرباء؛ لأن المضيف حسن مؤجر فقط للبيت ولا يعلم عنه إلا ما يفيد الحفل، فتركناه في مكانه وتفرقنا وعندما استطاع طه إعادة المفتاح، عدنا للداخل مرة أخرى وحينها فوجئنا بافتراش تلك جثة أرضية الغرفة.

هنا أشار للجثة التي تقع خلفه بيدٍ مرتعشة ثم أكمل:

- الجميع تعجب كيفية وصولها لهذا المكان، ودار نقاشٌ حادٌّ بيننا، وأثناء ذلك ضرب جرس الباب لنجد حضرتك أمامنا، ولذلك أخبرتك بأمر الجثة فبالتأكيد تلك مكيدة من حسن لنا ليس أكثر، أنا واثق أن كل هذا من تدبير هذا اللعين.

شكرت جلال على تعاونه، وأمرته أن ينهض ويعود مكانه مرة أخرى، وهو يتحرك لاحظت أن الرجل البدين يستند على

الحائط بكلتا يديه ويركل بقدمه في الحائط وما إن لاحظ أن جلال أنهى التحقيق معي فالتفت نحوي وأشار نحو مقعد بجواره وسألني بوجه يلمع من العرق:

- هل يمكنني أن أجلس هنا، حتى يحين دوري في التحقيق، فأنا رجل كبير في السن هذا غير وزني الزائد الذي سبَّب مشاكل كثيرة في قدمي، فهل تسمح لي بالجلوس؟

- لا.

كان ردي صادمًا للرجل البدين حتى انزلقت عويناته من على أنفه لتُظهِر اتساع عينيه المصدومة، وأردفت:

- لأنك ضيفي التالي على هذا المقعد، أتمنى أن تسرع كي تستريح كما رغبت.

نظر لي وابتسم نصف ابتسامة وهو يمسح عرقه بمناديل ورقية بارت وتَّآكلت من كثرة استخدامها في وقت قصير، ثم رفع بنطاله لتهتز بطنه وهو يتقدم نحوي، ألقى بجسده على المقعد المحدد وتبعها زفير طويل أعلن به راحته الأخيرة، فدنوت منه وأخبرته بقواعد التحقيق الثلاثة ثم باشرت في استجوابي له وأنا أشير بإشارتي الثلاثية قائلًا:

- أريدك أن تجيبني على ثلاثة أسئلة بالترتيب، مَن أنت؟ وما علاقتك بالآخرين؟ ولماذا أشرت نحو القعيد بأنه القاتل

وليس أحدًا آخر؟

- أنا أدعى أنور لبيب طبيب جراحة عامة ومختص أكثر بالأطفال، أعرف الجميع هنا منذ أيام الكلية فجميعنا نمّتهن مهنة الطب، هل تسمح لي؟

سألني وهو يشير نحو علبة مناديل ورقية تنتصف الطاولة أمامه، فأومأت بالقبول فمدَّ يده وهنا لاحظت خدوشًا عرضية رفيعة بجانب مرفقه الأيمن، كانت تختفي أسفل كُمّ القميص الذي كان يرتديه، ولحُسن حظي لم يلاحظ أني انتبهت لها، وعاد ومسح عرقه ثم أكمل:

- أنا في الحقيقة أشرت نحو حسن لأن جلال أشار إليه، وهذا فاجأ الجميع بكل تأكيد، فحسن وجلال هما قريبان لبعضهما كثيرًا وأسرارهما لا يعرفها إلا سواهما، فمعنى أن جلال أشار نحو حسن هذا لا يعني إلا أنهما انقلبا على بعضهما البعض، وعندما يتحارب أسدان عليك أن تقف كالقرد على الشجرة تصفق فقط للمنتصر، وهذا ما جعلني أُصدّق على اتهام جلال حتى أخرج من تلك المعركة قردًا، فالغابة لا تتسع إلا لأسدٍ واحدٍ.

لمعت عيناه وهو يبتسم ساخرًا ثم أردف:

- ما إن بدأنا هذا الحفل الغريب بشرب نخب الحفل حتى

انقطعت الكهرباء، وهنا شعرت أن حسن مضيف الحفل يدبر أمرًا ما، لأني لاحظت من النافذة أن انقطاع الكهرباء خَصَّ هذا المنزل فقط دون غيره في نفس المنطقة، وأكَّد على ملاحظتي تلك طه عندما أخبرنا أن العطل خاص بالمنزل فقط، واتفق الجميع أن نفترق كي نبحث عن مولّد كهربائي أو لوحة المفاتيح، هل يمكنني أن أخذ واحدًا آخر؟

- تفضل.

مدَّ يده مرة أخرى لكي يأخذ منديلًا آخر لأن الشحوم التي تُطوّق رقبته أنهكته بسبب كثرة الحديث، هنا ركزت أكثر على الخدوش بيده والتي وضحت أنها حديثة لأن الدم ما زال ينبض في أماكن متفرقة منها، عاد أنور لجلسته وبدأ يكمل حديثه، ولكن بحرص أكثر وهو يتلفت حوله:

- ما إن تحركنا وتركنا حسن هنا لأنه قعيد ولن يسعفنا في الحركة، واخترت أن أتبع طه في البحث خلف المنزل عن طريق باب المطبخ الخلفي كما توقَّع طه أن بالتأكيد هناك مَخرج خاص هناك، وأنا أسير خلفه في الظلام حتى جاء لي هاجس أن أعود من مخرج المطبخ الذي خرجت منه، وأختبئ بالمنزل كي أراقب حسن ولكن الظلام كان مُسيطرًا بشكل كبير على المكان إلا أني اخترت أن أظل بالمطبخ وأراقب من بعيد، لحظات قليلة مرت عليَّ حتى رأيت ظِل

شخص يحمل شيئًا كبيرًا، حاولت أن أتحقق منه أكثر ولكن تعثَّر قميصي بمقبض أحد الأدراج وعطلني لحظات كانت كافية أن تعود الكهرباء ونعود أدراجنا ونتفاجأ بوجود الجثة، التي سبقت حضورك بدقائق قليلة، وعندما فاجأنا جلال باتهامه لحسن ثبت شكّي وأشرت معه.

دنا برأسه قليلًا نحوي وهمس:

- إذا كان الأمر يتعلق بحياتي فأنا قرد جدًّا.

ابتسمت لصراحة أنور وأخبرته أننا انتهينا، ويمكنه أن يتحرك ويعود مكانه، نهض من جلسته بكثير من المجهود وهنا لاحظت نظرات الرجل ذي القميص الأحمر ينظر لي نظرات حادة، فأشرت نحوه أن يأتي، فرَّد عليَّ بانفعال غاضب:

- لدي اسم تناديني به، أنا الدكتور رشدي فاروق أفضل طبيب تجميل في المنطقة ويجب أن أجد منك احترامًا يناسبني.

ابتسمت ساخرًا وقلت:

- تفضل حضرة الدكتور رشدي فاروق، مقعد ضيافتي في انتظارك.

«الحقيقة لعنة على لسان الكاذب، وبردٌ على قلب الصادق»

الفقرة الثانية

الإثم

(جلال عويضة)

كم ألعن حظي آلاف المرات يوميًّا، دونًا عن كل البلاد النظيفة المُتحضرة أُولد أنا في تلك القرية الفقيرة من كل شيء، لأبٍ يفتخر بسذاجته وقلة ذكائه وسعيد بتهليل الأهالي المنافقين له، ويظن أن بأفعاله الخيرية سينال جائزة نوبل في الكَرم حتى خسر كُل شيء في النهاية، وأمٌّ تظن نفسها الملكة نازلي تأمر وتتعالى على الجميع لأنها بنت العمدة السابق وأخت العمدة الحالي، وأخوين يرتديان زِيّ الفشل عن جدارة وأختٍ تحاول أن تأخذ اللقب من الأم في القريب العاجل، عائلة تذل وتُهين النفس ولا تُشرف أحدًا أبدًا، لينتهي المطاف في النهاية لطبيب متميز مثلي بعد تخرجه بسنوات قليلة أن يعمل هنا في هذا المركز الصحي العَفن المتهالك، بدلًا من عيادة في أرقى المناطق بالقاهرة، ولافتة كبيرة بالخارج يُكتَب عليها بالخط العريض الدكتور جلال عويضة طبيب جراحة عامة.

- يا دكتور جلال، يا دكتور جلال.

كم ألعن هذا الغبي، الجاموس يملك مقدارًا من الذوق عنه، إنه لعنتي الأخيرة؛ التمرجي حسنين. نظرت له وصِحت غاضبًا:

- يا حسنين يا ذيل البقر، ألم أخبرك من قبل مليون مرة أن تطرق الباب قبل أن تدخل وتنتظر أن أسمح لك بالدخول، أرجوك اترك أخلاق الزريبة بالخارج على عتبة المركز والتزم بما أمرتك به.

نظر لي وابتسم ابتسامة بلهاء تقتلني استفزازًا، وأكمل بنفس حماسه السابق وكأني لم أقل شيئًا:

- إن العمدة بالخارج ولا أستطيع أن أقول له انتظر حتى، لا أنا أجرؤ أو المرضى يجرؤون على فعل ذلك، إنه العمدة، العمدة يا دكتور.

كان يلفظ كلمة دكتور بأسلوب مقزز جعلني أبغض مهنتي والكُلية التي أنتسب إليها، كنت أريد أن أمسكه من تلك الشفاه الممدودة في نهاية كلمة دكتور كالعجين في الفجر، ثم أسحب لسانه للخارج وأربطه في ذيل ثور كفيف يطوف بالساقية المهجورة التي تقع بشرق البلد، حاولت التماسك وأخذت شهيقًا وأطلقته ببطء حتى أهدأ قليلًا، حاولت تمالُك أعصابي ولكني فشلت فخرجت كلماتي من بين أسناني:

- العمدة هذا عليكم أنتم وحدكم، أما عيادتي فهي أرضي أنا، وأنا مَن أملكها.

اقتربت منه وأنا أشير بسبابتي محذرًا وأردفت:

- أنا هنا العمدة، يجب أن تعي هذا جيدًا، أنا مَن؟!

نظر إليَّ بعينين متسعتين وردَّد:

- العمدة.

رتبت على كتفه بقفازي الطبي وأثنيت عليه:

- أحيانًا لا تصبح غبيًا يا حسنين، أتمنى أن تظل هكذا.

- العمدة.

ردّدها تلك المرة بنغمة بها مطّ قليلًا وهو يشير بعينه لشيء خلفي فأدركت ما يرمي إليه، فالتفت بثقة لأجد خالي العمدة يقف خلفي بعباءته البنية وعمامته البيضاء العالية وعصاه الزان وشاربه اللامع من كثرة العناية به، شارب قصير مثل شارب الملك فاروق فهو وأخته يعانيان من عقدة نقص كبيرة ويريدان التشبه بالعائلة المالكة بشكل أصبح أكثر فظاظة، ظلَّ ينظر لي بعينين يعلو أحدهم حاجب مرفوع قليلًا عن الآخر وسأل ساخرًا:

- هل سوف أقف كثيرًا يا دكتور أم أقول يا عمدة؟

- هو في عمدة غيرك يا عمدة.

كنت أريد أن أركل حسنين على رده السريع على العمدة بدلًا مني، حاولت أن ألملم شتات غضبي وأطحت بيدي للخارج وأمرته بنبرة صارمة:

- اخرج يا حسنين وأغِلق الباب خلفك.

ثم نظرت للعمدة وأشرت له نحو مكتبي وأنا أرحب بابتسامة صفراء:

- تفضَّل يا عمدة.

تقدَّم أمامي بخطوات ثقيلة حتى وصل لأحد كراسيّ المكتب وجلس على أحدهما، وأنا عدت لمقعد مكتبي وجلست أمامه، ناظرًا له في تأفُّف كعادتي، حتى كسر صمته باستهلاله المتكرر:

- لا أنكر عليك يا دكتور جلال يا ابن أختي أني أحبك كابني وأفتخر بك في كل جلسة وحوار، حتى في جلستي بالأمس مع (هارون) بك النائب بالمجلس كبيرنا جميعًا، وأخبرته عنك وعن مهارتك وعن حبك في العمل و...

هنا قاطعته:

- أرجوك يا خال، أخبرني بما تريد؟ وسبب زيارتك لي الآن؟

نظر لي لحظات ثم أومأ برأسه موافقًا على طلبي وأجابني:

- كما تريد يا دكتور جلال.

ثم مدَّ يده لي بملف كان يخبئه أسفل العباءة وأردف:

- هذه هي التحاليل الحالة التي اتفقنا عليها وفصيلة الدم تتطابق مع ما طلبه (شاهين) السمسار.

أمسكت بالملف وقرأت ما فيه وتأكدت مما قاله، عندما لاحظ هو ذلك، أردف متسائلًا بعينين تشعان خبثًا:

- هل أحضره لك اليوم؟ خيرُ البِرّ عاجله.

لم أتحمل ما قاله ونهضت من جلستي وتوجهت نحوه وجلست أمامه قائلًا وأنا أشير بسبابتي محذّرًا وقدماي تهتزان غضبًا:

- لا أعرف متى ستعي خطورة ما نفعله، لا يمكن أن تحضره هنا دون أن أرتب غرفة العمليات وأنظم كل شيء، إذا شعر هذا الغبي الذي بالخارج بشيء، فاعلم أن البلد كلها ستعرف وسوف تأتي الشرطة تقبض علينا ليس ببلاغ أحدهم عنا ولكن من كثرة الحديث عن قصتنا.

هدأت بعض الشيء في حديثي وأنا أكمل:

- يجب أن يحدث هذا يوم الخميس ليلًا عندما يغادر حسنين البلد فهو لا يبيت هنا بل يبيت في قريته، لا أريد أن تفاجئني أو تتصرف بدون إذنٍ وترتيب مسبق مني.

- أوامرك يا دكتور، اهدأ أنت فقط وثبت اهتزاز قدميك فلقد أصبتني بالتوتر وكأنك تجلس على ظهر جرار.

نظرت له بسخف، ثم عدلت في جلستي وسألته بثقة:

- وهل لهذا الرجل أحد يسأل عنه؟ أم مثل سابقيه؟

نهض من جلسته وهو يبتسم بنشوة أثارت حفيظتي وهو يقول:

- له وليس له.

- ماذا يعني هذا إن شاء الله؟

تقدم خطوتين ثم التفت لي وهو يجيبني بعين تلمع من السعادة:

- رزقه الله بأربعة، والأربعة يتمنون أن يكونوا أولادًا للبهائم عن أن يكونوا أبناء له.

تعجبت من قوله ولكن طمأني قليلًا، فسألته قبل أن يمسك مقبض الباب ليخرج:

- هل سوف نأخذ الكَلية فقط منه؟

- لا، إنه مباح لأي شيء تراه مناسبًا فيه، خُذ منه ما ينفع أن يتحول إلى مال.

قالها وضحكَ ضحكات عالية، جعلتني أشك في هوية هذا الشخص، فذهبت للملف الذي أعطاني إياه لأقرأ اسم الحالة منه لأتفاجأ بما رأيته، وألعن خالي ألف مرة في سري، لقد أخفى اسم المريض ببقعة من الحبر، كم أبغضك كما أبغض عائلتي كثيرًا.

مر يومان وجاء يوم الخميس المتَّفَق عليه لإجراء العملية، ولقد غربت الشمس منذ ثلاث ساعات والعيادة خاوية إلا من (إسماعيل) الذي جلبه لي خالي كي يساعدني فيما أفعل، تميز إسماعيل بأربعة أشياء أولهن أنه مريض بخلل عقلي فلن يؤخَذ بشهادته، ثانيًا كان يعمل منذ صغره في تنظيف وتقطيع وسلخ الشاه بمذبح القرية وهذا ساعده في فهم ما أريده منه، وثالثًا فهو مقطوع من شجرة فلن يسأل عنه أحد ويمكن أن يتخلص منه العمدة في أي وقت ولن يشعر أحد بذلك، والجميل أنه هو يعلم ذلك جيدًا، وأخيرًا وما أفضله فيه مرضه العقلي يجعله مصابًا بهوس ترتيب الأشياء وتنظيمها فيعيد تنظيم العيادة وغرفة العمليات بإتقان وبالأخص بعد أن شرحت له المطلوب منه وأين مكان كل

شيء، وكل هذا يساعدني على العمل في هدوء وراحة.

أعدَّ إسماعيل غرفة العمليات وجلسنا ننتظر قدوم العمدة الذي تأخر عن موعده قليلًا حتى سمعنا صوت محرك سيارته بالخارج فتحرك إسماعيل مهرولًا ليستقبل العمدة ويستلم منه المتبرع الغبي الذي قادته حاجته ليقع أسفل حذاء العمدة حتى يسلب منه جسده برضاه، لحظات ودخل علي العمدة منتشيًا على غير عادته وكأنه عريس الصباحية الفخور بإنجازاته الليلية، وجلس أمامي منفوخ المنكبين وعيناه تلمعان من السعادة، لا أنكر أن القلق امتلكني، فأنا لم أرَ خالي بهذا الشكل طيلة حياتي، حاصرني الفضول حتى سألته:

- ما بكَ يا خال لم أرَك بتلك السعادة من قبل؟

ضحكَ وردَّ في فخر:

- ألهذا الحد أنا مفضوح؟

- مفضوح فقط! صرصور الغيط هناك يلمح لمعة نابك الفضة يا خال، أخبرني ما السبب لكل هذا؟

ملأ صدره شهيقًا كعِجل نافق، وأخرجه وهو يبتسم ثم أجابني:

- أتعلم يا دكتور عندما يرغب ذئبُ الجبل في قيادة قطيع من غريمه ومنافسه زعيم القطيع ماذا يفعل؟

نظر لي بثقة وهو يلاعب بين يديه عصا العمودية التي ورثها من جده العمدة الأكبر، وأنا زادت لديّ نوبة هز قدمي بسبب الفضول الذي تملَّكَني، حتى أردف وهو يداعب بيده الأخرى شاربه:

- ليس عليه أن يقتله فقط، لا بل أن ينهش من لحمه أمام القطيع ويأمرهم بأن يشاركوا في نَهش الوليمة، وأنا الآن لم أقتل قائد القطيع فحسب بل أنظف أسناني بنابه.

لم أفهم ما يرمي له، وقبل أن أسأله مستفهمًا قاطعنا إسماعيل بدخوله وأخبرنا أن غرفة العمليات جاهزة، تركت العمدة بحالته الغريبة وحكمته الأغرب ونهضت وتوجهت لغسل يدي عشر مرات كما أفعلها كل ساعة ولبست قفازي الجديد، ودخلت غرفة العمليات والتي لا يدخلها أحد سواي، في الصباح أدخلها لأنها تحتوي على الصيدلية الصغيرة بالمركز الطبي، وحسنين لا يخطو عتبتها بالتأكيد، أولًا لأن بها عهدة طبية مسؤولة مني، وثانيًا لأنه ليس نظيفًا بالمرة فيكفي ما يفعله بالمركز بالصباح وكأنها عيادة بهائم والأدهى أنه يظن أنه ينظفها، كائن قذر بالفطرة ورغم ذلك لا أستطيع أن أطرده فهو مُعين من الوزارة للأسف، ولذلك لم أشركه في

أي شيء مما يحدث ليلًا فهو فوق كل هذا لا يستر على أحد، وإذا لم يجد من يفضحه، يمكنه أن يفضح الحمار على هز ذيله، الحمد لله على نعمة إسماعيل؛ هذا الفتى الكتوم بطبعه وغصب عنه.

دخلت الغرفة البدائية من المعدات والأدوات والكشاف الضوئي الباهت المُسلَّط على طاولة العمليات أو المفترض أنها كذلك، ورغم كل هذا إلا الشيء الوحيد الذي أضمنه فيها أنها نظيفة، وهذا بفضل إسماعيل وتوجيهاتي له والذي وجدته يقف بجوار طاولة العمليات الذي يرقد عليها المغفل، والذي خدَّره ووضعه كما هو المفترض في عمليات استئصال الكلى على جانبه الأيسر، مغطى بكامل جسده بملاءة بيضاء بفتحة قطرها شبران كاشفة عن الجانب العلوي للبطن، وظهره لي ووجهه نحو إسماعيل، وكان ظهرًا لرجل كبير في السن.

لاحظت أن الإضاءة ضعيفة عن كل يوم ويجب تغيرها في أقرب وقت، نظرت لإسماعيل مشيرًا له أن يسحب الكشاف الضوئي للأسفل قليلًا ويُسلطه على الجانب العلوي لبطن الحالة، ثم منحني المشرط وبدأت في عملية استئصال الكلية ما إن غرسته وبدأت في شق البطن حتى فوجئت بأن يد الحالة تتحرك، وصوت يخرج منه كأنين من ألم الجرح،

فنظرت لإسماعيل بعين متسعة وقلت بغضب:

- ألم تعطِه المخدر الكافي كما أخبرتك من قبل؟

تلعثم وهو يقول في خوف:

- وحياة سيدي أبو حبتر حقنة تمام يا دكتور.

فهمت من حديثه أنه يَقسم إنه أعطاه الحقنة كما هو مُعد، ولكن ما رأيته عندما اقتربت من وجه الحالة كي أتأكد من درجة وعيه أن المغفل الذي باع كليته لخالي العمدة هو والدي.

(المحقِّق)

جلس رشدي بهدوء وثقة بعدما هَندمَ قميصه، واضعًا ساقًا على ساق في ثبات، وأثناء ذلك لاحظت تدلي قلادة ذهبية من رقبته على صدره محفور عليها وضع جنسي، وعندما لاحظ أنها لفتت انتباهي، تحدَّث بكثير من التفاخر وهو يتحسسها مبتسمًا:

- أعلم أنها ملفتة، ولذلك أرتديها فهي تختصر الكثير من البذاءة التي أرغب في قولها، وتكسر الكثير من حاجز الخجل، وأنا أحب أن أستمتع بمُتع الحياة.

نظر لي بعين تضيق متسائلة ثم أردف:

- لا أظن أنك تعلمهم حضرة الضابط.. مُتع الحياة ثلاث.

وهنا قلّد إشارتي الثلاثية فعلمت أنه يريد أن يخبرني أنه كان يراقبني أثناء التحقيق، ثم رفع أصابعه نحو وجهي وأردف:

- النساء ثم النساء ثم النساء.

ضحك ساخرًا وهو ينظر لي في نشوة ولف بيده وعدّلَ أصابعه كي تشير نحوي وكأن يده تحولت لسلاح ناري، هنا حركت أنا أيضًا السلاح الناري الذي معي ووجهته نحو

أصابعه المُوجَّه نحوي، واتسعت عيناه ونظر لي في تحدٍّ، وما إن حركت صمام الأمان للخلف، حتى عاد بيده للخلف رافعًا إياها معلنًا استسلامه وهو يبتسم ساخرًا، أشرت نحو سلاحي مهددًا:

- أنا من يدير الحوار هنا حاول أن تلتزم بذلك، أنا النقيب محمود صقر أظني أخبرتك به من قبل ويجب أن أجد منك احترامًا يناسبني.

رفع حاجبه الأيسر ونظر لي في عيني ثم أومأ برأسه قليلًا، حاولت أن أكمل، ولكني شعرت بالإحراج إذا رفعت إشارتي الثلاثية أمامه، فأخبرته بالقواعد الثلاث في هذا التحقيق شفهيًا فقط، حتى أجابني بنبرة هادئة:

- سوف أجيبك على كل شيء تطلبه، ولكن هل لي بأن أسألك سؤالًا واحدًا حضرة الضابط؟

نظرت له وأنا أحك بيدي أسفل ذقني مفكرًا وإجابته في شك:

- موافق، سوف أسمع سؤالك، ولكن من حقي أن أجيب عنه أو لا؟

- إجابتك مطلوبة بكل تأكيد حضرة الضابط محمود، ولكن في الحالتين يكفيني النظر لك.

كانت نبرته يملؤها الثقة والتحدي، استفزتني كثيرًا لا أنكر ذلك، حاولت أن أتنفس بشكل طبيعي حتى لا يلاحظ شيئًا قد طرأ عليَّ، وسألته في ثقة:

- وما هو سؤالك؟

ابتسم ابتسامة ساخرة صغيرة وأردف:

- ما الذي أتى بك هنا يا حضرة الضابط؟ أم الجثة هاتفتك كي تنقذها؟

نظر لي ووجهه عليه الكثير من الشماتة والترقب، ما كان على إلا أن أجيب تساؤله حتى لا أفقد الزمام والقيادة لهذه الليلة، وضعت يدي في جيبي وأخرجت هاتفي الجوال واخترت الرسالة قبل الأخيرة، ووجهت الشاشة نحو وجهه ليقرأ نَصها والتي كانت تنُص:

«جريمة غريبة تحدث الآن يا محمود باشا، لا تنتظر قوات الشرطة، اذهب الآن، العنوان في هذا الرابط أدناه».

نظر بريبة نحو الرسالة على شاشة هاتفي ثم نظر لي باستغراب معلنًا عدم تصديقه لها أو لأني هدمت شكوكه بي لا أعرف، ولكني اكتفيت وأخبرته محذرًا:

- أرى الآن أن تجيب على أسئلتي دون إهدار زائد لوقتي.

- أنا تحت أمرك.

قالها على مضض من أمره، فأخبرته بأسئلتي الدارجة فاتفق مع سابقيه أنهم جميعًا زملاء كلية واحدة وأصدقاء من حينها، ولكن كانت إجابته فيما يخص توجيه الاتهام لحسن القعيد غريبة نوعًا ما فقال بعين تضيق مكرًا:

- وهل تصدِّق أن هذا الثعلب لم يفعلها؟! ولكن كان يجب أن نتخلص من الثعلب الكبير أولًا.

لم أفهم عمن يتحدث بالضبط فسألته مستفسرًا:

- إذا كنت تقصد بالثعلب الكبير حسن راتب، فمن هو الثعلب الآخر؟

ابتسم ودنا مني هامسًا:

- هذا دورُك أنتَ في حل هذا اللغز، فأنت النقيب محمود صقر ويجب أن تجد مني احترامًا يناسبك.

تبعها ضحكات ساخرة أثارت حفيظة الجميع خلفه فنظروا بفضول يحاولون فَهم ما حدث، ثم أشار لي أن ينهض وعيناه تتسعان من النشوة، أومأت برأسي موافقًا وأسناني تستغيث من الضغط عليها بسبب غيظي من هذا المستفز.

تحرك رشدي بخطوات ثابتة تتسم بالغرور والتكبُّر، وما إن

عاد لمكانه مستند على الحائط حتى صرخ أنور:

- نحن لسنا طلبة كي نقف على أرجلنا طيلة فترة التحقيق، أنا لا أستطيع أن أقف أكثر من ذلك، كعب قدمي يستغيث.

رددت عليه بحدة:

- هذا مسرح جريمة، ولا يمكن أن تلمسوا شيئًا أو تجلسوا على شيء وأنا اخترت هذا المقعد مضطرًا كي أدير تحقيقي بشكل يناسب الحدث ليس أكثر.

وأكملت بنبرة امرة محذرة:

- انعموا بتلك الراحة الآن، فبعد أقل من ساعتين سوف تشرفون زنزانتي وحينها سوف تقسمون بتلك الوقفة ونعيمها.

نظرت للجميع بتحدٍّ ولم ينطق أحدٌ منهم، لقد حققت مع ثلاث ويتبقى ثلاث، القعيد أو حسن راتب كما علمت اسمه والذي كان ينظر لي بنظرات تحدٍّ والرجل ذو الحواجب الكثيفة وصديقهم الأخير أسمر البشرة والذي كان شاردًا في وجه الجثة بعينين ثابتتين، مما دفعني لقطع شروده هذا وناديت عليه:

- ها يا أنت، الذي يتأمل جريمته على الأرض.

لم ينتبه لندائي، وهنا تحرك الرجل ذو الحاجبين الكثيفين ولكزه بعنف في كتفه صائحًا:

- عزمي، انهض للضابط، نريد أن ننهي تلك الليلة اللعينة.

التفت فزعًا له فأشار له ذو الحاجبين الكثيفين نحوي بأن دوره قد حان للتحقيق، فنظر لي وبلع ريقه وتحرك نحوي بخطوات مرتبكة وبطيئة أظهرت سنَّه الحقيقي، ولاحظت فركه لأصابع يده السمراء والتي لمعت من كثرة العرق بها وكلما اقترب مني كلما تأكدت من ظني أنه مريض بالغدة العرقية المفترزة أو التعرق المفرط وتوتره قد أعلن عن وجوده قبل أن ينطق بشيء وهذا جيد جدًّا بالنسبة للتحقيق، جلس أمامي في تردُّد وهو يرسم ابتسامة سريعة مزيفة في محاولة لكسر حدة اللقاء، لذلك باغته بسؤالي:

- هل أنت نادمٌ على ما فعلت دكتور عزمي؟

تفاجأ بسؤالي واتسعت عيناه وبرزت تجاعيد جبهته، وتقلَّب في جلسته وهو يشير لي بسبابته مُعلِنًا رفضه لكلامي فأجاب بلسان متلعثم:

- أنا لم أفعل شيئًا، صدقني أقسم لك يا حضرة الضابط، من يستطيع أن يفعل ذلك هو طه أو رشدي أو جلال لأن قلوبهم دُفنَت منذ زمن، أما حسن فهو لم يمتلك واحدًا منذ أن لَفظته

أمُّه لتلك الحياة، وأنور لا يفرق عنه في شيء أما أنا فلا، أنا لا أستطيع أن أقتل أحدًا أو أن يموت أحد تحت يدي وهذا ما دفعني لكي أتخصص في جراحة التجميل فقليلًا أو نادرًا ما يموت أحدًا تحت يدك وأنت تجري عملية تجميل له.

برغم لهجته التي امتزجت باللهجة الصعيدية بعض الشيء إلا أن أداءه كان ينم عن حبه للتمثيل وبالأخص تقمصه لأسلوب حسين رياض وهو يؤدي دور المظلوم المجني عليه، ولكن بأسلوب ركيك يفتقر للاحترافية فلعثمته كان مبالغًا فيها بشكل كبير وكأنه يحاول أن يظهر لي أنه متوتر، ولكني لم أحكم عليه بشكل نهائي حتى أنتهي منه وهل سيظل متقمصًا هذا الدور أو يكون صادقًا في كل هذا؟ فأكملت تحقيقي وأنا أنظر لعينيه:

- إذًا ما الذي أتى بك إلى هنا إذا كان هذا رأيك في مَن هُم خلفك؟ أترى نتيجة فعلتك أصبحت شريكهم في تلك الجريمة.

انتفض من جلسته وكأن كلب قد قضم مؤخرته، فوضعت يدي على فمه واليد الأخرى على كتفه ودفعته لكي يجلس مرة أخرى.. وهنا تذكرت أني لم أخبره بالقاعدة الثلاثية في هذا التحقيق، انحنيت ودنوت من أذنه وقلتها هامسًا وأنا أشعر بأنفاسه السريعة الساخنة التي تزفر في راحة يدي،

أنفاس عالية كادت أن تعلو على صوتي، ما إن أنهيت حتى أومأ برأسه تفهمًا، وعدت منتصبًا واقفًا أمامه ثم أشرت بيدي أن يتحدث، فبلع ريقه وأجابني بنبرة يملؤها الحزن:

- أنا جئت هنا مجبرًا فهذا الحفل السنوي لا يستطيع أحدٌ أن يعتذر عنه إلا بوفاته وعلى هذا تعاهدنا منذ أربعين عامًا، أما عمَّا حدث هنا فبعدما تناولت جرعة من كأسي كما فعل الجميع تفاجأنا بانقطاع التيار الكهربائي وحينها أمرَنَا طه أن نبحث عن لوحة المفاتيح أو مولّد كهربائي احتياطي في هذا المكان الغريب.

قاطعته متسائلًا:

- وتركتوا حسن هنا لأنه قعيدٌ ولا يعرف شيئًا عن المكان؟

- نعم هذا صحيح وكعادتي كنت مترددًا مع من أخرج في البحث خرج طه وأنور نحو الباب الخلفي من المطبخ، ورشدي وجلال من الباب الرئيسي، ما إن اتخذت القرار باتباع جلال الذي سبقني للخارج، فلقد كان المكان مظلمًا وتخبطت كثيرًا في الأثاث، ولكن عندما خرجتُ ذهبت يمينًا فلقد لمحت خيال شخص يتحرك هناك ما إن اتبعت هذا الخيال حتى وجدته رشدي، وعلمت أنه اتفق مع جلال أن يبحث هو يمينًا وجلال يسارًا ويتلاقان في الجهة الخلفية من المنزل، وقبل أن نصل للمرآب الخلفي حتى فوجئنا بعودة

التيار الكهربائي وطه يخرج أمامنا وحده بدون أنور.

نال هذا الجزءُ من القصة انتباهي كثيرًا فلم يذكره جلال ولا رشدي فأنصت بتركيز له وهو يردف:

- وعندما عدنا أدراجنا نحو الباب الرئيسي قابلنا جلال وكان قد وصل معنا، وقال إنه قرر أن يعود من حيث جاء عندما عاد التيار، ولكن ما إن أنهى حديثه هذا حتى سمعنا شهقة أنور ودخلنا لنتفاجأ بوجود تلك الجثة وحسن يجلس أمامها على مقعده المتحرك، لا أعلم هل كان يستريح من جريمته أم ماذا؟ وأمامه يقف أنور من الجهة الثانية.

لاحظت أن قطرات من العرق تتساقط من يديه وهو يفركهما ببعضهما وكأنه يعتصرهما، فسألته وأنا أحك أسفل ذقني بأصابع يدي وأنا مرتاب فيه:

- ولماذا أشرت مثل البقية نحو حسن بأنه المتهم؟

نظر لأعلى لي بعينٍ لا ترتجف وقال بثقة:

- إن لم أُشِر معهم كانوا سوف يشيرون نحوي بأنني شريكه، الخيانة هنا من الصفات الحميدة حضرة الضابط.

مِلت برأسي جانبًا وأشرت له أن يعود مكانه، ولاحظت أن ذا الحاجبين الكثيفين والذي أظن أن اسمه طه قد وصل

حنقه لحد كافٍ كي أجلبه لي، فقلت موجهًا له الحديث:

- أي نوع تُدخن؟

رّد في فرح وهو يتقدم نحوي ويخرج علبة سجائره بسرعة:

- إنها سجائر الدانهل، ولكن الأصلية المستوردة من لندن بلد المنشأ، وليست المقلَّدة في المصانع الروسية التي لا تهتم بطُرُق التخزين السليمة والتي تفسد جودة التبغ.

قالها وهو يخطو نحوي حتى وصل أمامي ثم أخرج من جيبه قداحة ذهبية ذات إشعال كهربائي مميَّز وشرع في إشعال سيجارته، ليتفاجأ بيدي تمسك يده وباليد الأخرى أغلقتُ غطاء القداحة ودنوت بوجهي منه متحديًا:

- مِن أين جئت بكل تلك الثقة، أنا لم آذن لك، أنا فقط سألتك عن نوعها.

احمرَّ وجهه غضبًا وبرزت عروقه أسفل جلده المشدود بكثير من عمليات التجميل وجحظت عيناه وضغط على أسنانه حتى قُطمَت السيجارة بينهم وسقطت من فمه، وبصق ما تبقى منها بجانبي، فأشرت له أن يجلس على المقعد، فقبض على يد المقعد وكأنه يخنقها وهو يجلس، ثم نظر لي بفم مغلق وشهيق وزفير عاليين يخرجان من أنفه

كلهيب نار، لحظات من الصمت مرَّت وهو يحدق فيَّ، رأيت أن مع هذا الشخص يمكنني أن أعود لأسلوبي في التحقيق الذي بدأت فيه فأشرت بعلامتي الثلاثية حتى أثير انتباهه، وقلت القاعدة الثلاثية لهذا التحقيق، ولكني لاحظت أن جفن عينه اليسرى يرتعش كثيرًا كل عدة لحظات فكان شيئًا ملحوظًا لي عندما أصبح قريبًا مني، كل هذا يحدث وهو يتابعني بصمت ووجهه مكفهر من الغضب، أشرت بعلامتي الثلاثية مرة أخرى في وجهه وأنا أسأله بصوت هادئ وحاد:

- أريدك أن تجاوبني على ثلاثة أسئلة، مَن أنت؟ ما علاقتك بتلك الجثة؟ وأخيرًا لماذا اتهمت القعيد حسن بأنه القاتل؟

زفرَ زفرةً طويلة ثم دنا برأسه نحوي وأجابني وهو يشير نحو صدره بإبهام يده اليمنى القابضة على صوابعه وهو ضاغط على أسنانه:

- أنا الطبيب طه عبد العزيز استشاري جراحة قلب، لا أحد في تلك البلد لا يعرفني.

- كان لي الشرف العظيم بأن أكون أوَّل من لا يعرفك، أشكرك على هذا الشرف الذي منحته لي.

كان لردي هذا الاستفزازي للمدعو طه وَقع كبير عليه مما أثار غضبه أكثر، وظلَّ يحملق فيّ بعينين واسعتين تستظلان

تحت حواجب كثيفة حتى أردفت ببرود متعمَّد:

- يمكنك أن تكمل.

رأيت فكه السفلي يتحرك يمينًا ويسارًا وفي محاولة لكتم غضبه، وأخرج زفيرًا طويلًا ثم صمت ثانيتين وأكمل:

- ليس لي أي علاقة بهذا الشيء المُلقى خلفي، كنت أول من وصل هذا الحفل وبرفقتي رشدي وكان في استقبالنا الدكتور حسن وجلال، ثم حضر بعدنا أنور وكان آخر من وصل عزمي، ما إن وصل حتى دعا الدكتور حسن أن نبدأ بنخب الحفل، وطلبَ مني أن أسكب لنا الكؤوس الموضوعة على البار من الزجاجة التي اختارها لكي تكون ملاذَنا هذه الليلة، وأثار إعجابي عندما ذهبت ووجدت إنها زجاجة «ماسيتو توسكانا» من أفضل وأشهر أنواع النبيذ الأحمر والذي أعشقه بشكل خاص، ما إن شَرعت في فتحها لأتفاجأ أنها فُتحت من قبل بالرغم من أنها ممتلئة، أي هناك من سبقني لتلك المتعة وعاش لحظات فريدة خيالية، وهي تُفتَح لأول مرة وينطلق منها عَبق النبيذ البِكر وتستنشقه برويَّة وتملأ رئتيك منه.

قبض على يده وهو يكمل غاضبًا:

- لعنت من سبقني ألف مرة على هذا الجُرم الشنيع. كتمت غيظي وسَكبت النبيذ في الكؤوس وتقدَّم الجميع نحو البار

وأمسكوا بكؤوسهم وتجرعه الجميع، ثم أعادوا الكؤوس مرة أخرى أمامي، وما إن بدأنا نتحرك لنجلس حتى فوجئنا بانقطاع التيار، وأدركت أنه يخص المنزل فقط، وليس المنطقة التي نحن فيها بسبب الإنارة المستمرة بالطريق الخارجي، وإذا كان يخص المنطقة ككل وكان ظني خاطئًا ففي الحالتين من الممكن أن نعثر على مولِّد كهربائي احتياطي، فأنا أؤمن بأن القرارات السريعة لها مكاسب أكثر من القرارات المتأخرة التي تأتي بعد عمق التفكير، ولأني أمتلك منزلًا بأحد المجمعات القريبة من هنا، فأنا على عِلمٍ بالتصميم الأساسي لهذه العقارات، والذي يشبه تصميم منزلي لحد كبير، ولذلك توقعت مكان لوحة المفاتيح والمولّد الكهرباء إذا توفر وجوده في هذا المكان، وهذا ما دفعني لكي أذهب للمكان الذي أعرفه وهو المرآب الخلفي من خلال باب المطبخ الخلفي، وطلبت من رشدي والباقين أن ينيروا بكشاف هواتفهم ويبحثوا حول المنزل من جهة الأمام لعلّي أكون مخطئًا ويجدون لوحة المفاتيح أو المولد في مكان آخر.

كان عكس الجميع برغم شكله الغاضب إلا أنه يرى في الحديث المطوَّل رضاء نفسي لغروره الهَش، فتركته يقص دون أن أقاطعه، ولكن كانت المفاجأة بالنسبة لي عندما أكمل:

- تحركت دون أن ألتفت خلفي أو مَن سوف يأتي معي برغم أني شعرت بخطوات تتبعني، ولكن ما إن وصلت للمرآب الخلفي حتى تأكدت من ظنوني وعثرت على لوحة المفاتيح.

نظر حوله متلفتًا ودنا برأسه نحوي وأردف مبتسمًا:

- ما إن فتحت ضلفتها لأتفاجأ بعودة التيار الكهربائي مرة أخرى، بشكل تلقائي دون أن أقوم بأي شيء، أطفأت كشاف هاتفي، وخرجت لأجد رشدي وعزمي قادمين نحوي.

انتفض جسده من أثر ابتسامة صغيرة ساخرة وأردف:

- رشدي رَتَّب على كتفي أول ما رآني وظن أني من فعلتها وأعدت التيار الكهربائي، وأنا لا أفوّت فرصة تُتيح لي أن أسبق رشدي في أي شيء حتى لو بالكذب، فابتسمت له وعدنا أدراجنا وما إن فُتح الباب وجدنا جلال وأنور ينظران لهذا الشيء وبينهما الدكتور حسن يجلس على كرسيه، أغلقت الباب وما إن بدأت أصرخ فيهما متسائلًا عما حدث حتى بدأ الجميع في الصراخ في بعضنا البعض لنتفاجأ برنين جرس الباب، وحضورك لنا.

ضاقت عيناه واختبأ نصفها أسفل حواجبه الكثيفة وهو يسألني في ريبة:

- لا أعلم كيف عرفت بما حدث أو من أخبرك به؟ فلم يمر على اكتشافنا لهذا الشيء سوى عدة دقائق ليس إلا.

- هذا ليس من شأنك دكتور طه، يمكنك أن تعود مكانك، ولا تتحدث مع أحد كما أخبرتكم سلفًا.

عاد طه مكانه بخطوات غاضبة كثور هائج، وهنا لاحظت القعيد حسن يحرك كرسيه في اتجاهي ثم نظر لي بوجه جامد منتظرًا لطلبي له حتى أشارت له سائلاً:

- أتمنى أن تشرّفني هنا حضرة القاتل المحترم؟

لم تتغير ملامحه الصلبة من بين تجاعيده البارزة، ودفع عجلات كرسيه نحوي حتى وصل بجوار المقعد الذي جلس عليه السابقون له في التحقيق، ثم قبض بيده اليمنى على يده اليسرى المرتعشة في محاولة لإخفاء اهتزازها أمامي، انحنيت متكئًا بيدي الاثنتين على ذراعي كرسيه ودنوت برأسي منه وسألته وأنا أنظر في عينيه مباشرة:

- أردت أن تكون الأخير كي أعرف لماذا كل حلفائك خانوك؟

ما إن بدأ في حديث حتى أشرت له بسبابتي أن يصمت ثم أخبرته بالقاعدة الثلاثية لهذا التحقيق، وبعد ذلك أذنت له أن يتحدث، فنظر لي في تملُّل وأجابني في استياء:

- لقد أخبرتك منذ قليل ألا تصدق أحدًا هنا، فجميعنا نعلم بعضنا جيدًا ونعلم أننا لا نهتم إلا بمصلحتنا الشخصية فقط، ويمكن أن نطعن بعضنا البعض إذا جاء أحد منا في طريق الآخر، ولذلك أشاروا نحوي عندما سألتهم عن الفاعل لأني أنا صاحب هذا الحفل، وبالتالي تعود الجثة لي لأنها في ملكيتي الخاصة، هذا ما جاء في عقلهم حينها كي يخلوا مسؤوليتهم عن الحادث، صدقني أنا أعلمهم جيدًا.

عدلت من وقفتي وانتصبت وأنا أسأله:

- إذا كنت تعلمهم جيدًا فمَن هو القاتل لتلك الجثة؟

- ولأني أعلمهم جيدًا، فأنا لا أستبعد أن تكون تلك مؤامرة منهم جميعًا، افتعلوا حيلة قطع التيار الكهربائي وخرجوا جميعًا من المنزل إلا أنني سمعت صوتًا وكأن هناك مَن يحاول فتح إحدى النوافذ، ما إن شرعت نحو مصدر الصوت لأتفاجأ بصوت أقوى قادم من الجهة الأخرى مصدره المطبخ، لذلك توجهت نحو المطبخ مرورًا بالبهو، وكان باب المنزل مفتوحًا حينها، ويمكن أن يعبّر أي شخص منه في تلك اللحظة ويرمي هذه الجثة ثم يختفي، ما إن وصلت للمطبخ لأتفاجأ بعودة التيار الكهربائي ووقوف أنور أمامي وهو يخبرني أنه عاد لأن بطارية هاتفه قد فصلت شحن فلم يرَ شيئًا أمامه، وعندما عدت هنا وجدت الجثة والباب مردود

بعض الشيء، لحظات وفتح الباب ودخل الباقون.

ابتسمت وقلت ساخرًا:

- خطة دفاع جيدة أحييك عليها، لماذا دعوتهم من الأساس لهذا الحفل ذي الطقوس الغريبة إذا كنت تصدق أن يفعلوا بك ما فعلوه الآن؟

زاغت عيناه قليلًا وعاد لينظر لي في صمت ورأيت في عينيه لمعة ثم تنهد مجيبًا في حزن:

- بعد وفاة ابني الوحيد في حادثة سيارة وقبله زوجتي بعامين فلم يبقَ لي أحد، وبعد أن قاطعوني ما يقرب من شهرين شعرت بحنينٍ لأحد أتحدث معه.

ابتسم ابتسامة صغيرة ثم أردف:

- وكنت أعلم جيدًا بما أني المضيف لهذا العام فلن يستطيعوا أن يرفضوا دعوتي مهما كان درجة غضبهم مني، لقد كنت حَسن الظن بهم ونسيت أن الدواجن من الممكن أن تأكل بعضها إذا تعودت على القذارة وطعم الجيفة.

رفع يده اليمنى وأشار بسبابته للخلف وأردف:

- مَن أمامك هم من أقذر المخلوقات التي سوف تعرفها في حياتك.

أومأت برأسي ساخرًا:

- إمممم شكرًا على تلك المعلومة، إذا كانوا هُم المدبرين لكل هذا فهل يمكنك أن تخبرني ما علاقتك بتلك الجثة؟

- لا أعلم عنها شيئًا، سوى ما لاحظته من وجودي بجانبها طيلة فترة التحقيق أنه رجل يكبرني قليلًا في السن ومرَّ على وفاته من ست لتسع ساعات وهناك مَن قام بتشريحه.

جذب انتباهي بملاحظته تلك، فاقتربت منه وأنا أنصت جيدًا له وهو يردف:

- لقد لمحت في الجزء المكشوف من الجثة وبالتحديد الجزء الذي يكون أسفل العنق وبداية الصدر، رأيت خطًّا رفيعًا ينُم على بداية قطع طولي وهذا من الممكن أن يكون تم بعد الوفاة بغرض التشريح.

مِلت برأسي يسارًا وأنا أسأله وأنا واثق أنه لديه الإجابة:

- هل تعلم من الثلج الأحمر أو ما يعني هذا لكم؟

نظر لي متأملًا ثم رسم ابتسامة ساخرة، وقبل أن يجيب تفاجأنا بصوت يأتي من الأعلى، نظر الجميع إليّ فأمسكت سلاحي الناري وأشرت للجميع بكف يدي آمرًا بنبرة حادة:

- لا أحد يتحرك من مكانه.

تحركت نحو الدرج وأنا أتحسس خطواتي وأنصت جيدًا للصوت والذي كان حوارًا بين رَجلين أشعر أني أعلم صوتهم، ما إن اقتربت من الدرج لأرى انعكاس إضاءات تلفاز تتراقص في الأعلى وعلمت أنه صوتٌ لشيء يعرض في التلفاز، وبعد التركيز أكثر أدركت أنه صوتُ الممثل أحمد عز ومحمد رجب في فيلم الحفلة على ما أظن، ولكن مَن هذا المستفز الذي بالأعلى يجلس ويتسلى ويستمتع وأنا بالأسفل أحقق في جريمة قتل والجثة والقتلة من حولي، ما إن صعدت أول درجة في الدرج حتى رنَّت هواتف الجميع باستلام رسالة فنظرت لهاتفي لأجد نَص الرسالة هو:

«هذا التحذير الأخير لك، لا تبحث عني وإلا هربت (الثلج الأحمر)».

سمعت من خلفي عزمي يقرأ نفس نَص الرسالة بصوت مرتجف من على هاتفه ثم وجَّه حديثه لي:

- أرجوك حضرة الضابط لا تصعد لأعلى واجعلنا نلتزم بشروط هذا المختل حتى النهاية.

التفتّ له وأنا متردد حتى أكد على حديثه هذا طه وصاح فيَّ:

- لن أفقد حياتي ومستقبلي لأن سيادتك لا تريد أن تجلس

ساعة من الزمن أو ما يزيد عنها قليلًا.

نظرت في ساعتي فوجدت أنه مَرَّ ما يقرب من أربعين دقيقة على المدة المحددة من هذا المدعو (الثلج الأحمر).

«الإثم الذي لا يجرح قلب فاعله، فهو إثم آلفه القلب، فاحذر صاحبه فهو شرٌّ يسير على قدمين»

الفقرة الثالثة

الأسرار المتقاطعة

(أنور لبيب)

في أحد أيام عملي بالعيادة غلبني الجوع المفاجئ بين الوجبات مما دفعني لكي أمسك الهاتف وأطلب طعامًا:

- نعم، نفس العنوان، أريد اثنين شاورما دجاج حجم كبير ولا تنسَ الخيار المخلل و مشروبًا غازيًّا حجم كبير بالطبع، وفطيرة مكسرات بالعسل والقشطة الحجم الكبير، ولا تنسَ أن تسكب عليها لبنًا إضافيًّا أريدها غارقة فيه، لا هذا فقط لي ليس معي أحد اليوم، شكرًا وحذاري أن تتأخر وإلا سوف تخسرني للأبد، الأهم عندي السرعة، شكرًا.

أغلقت الهاتف وقد طلبت وجبة خفيفة حتى يأتي موعد الغداء، ثم أخرجت قطعة شوكولاتة خفيفة بالكاجو كي تداعب فمي قليلًا، حتى دخلت عليَّ (لُبنى) الممرضة مستأذنة بابتسامة بلهاء تَدّعي الحرج:

- توجد حالة بالخارج تنتظرك منذ ساعتين، وأنا نفذت أوامرك بأن يكون بين كل مريض ومريض نصف ساعة حتى ولو لم يحضر كي تأخذ راحة كافية ولا تشعر بجهد وتعب،

بقدميك اللتين لا تحتملان الوقوف ولا تطيقانه.

نظرت لها بعينين ضيقتين معاتبًا:

- تذكرتِ كل هذا ولكن نسيتِ أهم شيء، طاجن العكاوي باللّيَّة الذي طلبته منك أن تعديه بالمنزل وتحضريه معك اليوم حتى أفطر به.

حاولت أن تعتذر قاطعتها:

- أنتِ تعلمين أني أعيش وحيدًا بالمنزل منذ أن طلقت زوجتي منذ عشرين عامًا وأتشوق للأكل البيتي كل فترة، وبسبب فعلتك تلك جعلتِني أطلب وجبة خفيفة من المطعم السوري، شيء سريع أتناوله يساعدني على المجهود الجبار الذي أفعله منذ الصباح.

ثم أشارتُ إلى قطعة الشوكولاتة التي في يدي وأكملت:

- تناولت حتى الآن قالبين من الشوكولاتة حتى لا يُصاب جسدي بهبوط السكر، كل هذا بسببك أنتِ.

- آسفة بشدة يا دكتور أنور غدًا سوف أحضر معي ما طلبته ومعه فرخة محشية وفلفل محشو.

ابتلعت ريقي وسألتها:

- محشي رز ولحمة مفرومة؟

- بكل تأكيد يا دكتور.

انشرحت أسارير قلبي وتراقصت عصافير بطني وقلت لها محذرًا:

- المهم ألا تنسي اللبن الرايب.

- بالطبع يا دكتور هذا شيء أساسي.

رفعت حاجبيها فزعًا وقالت:

- لقد نسينا أمر الحالة التي بالخارج.

قلت آمرًا بتأفف:

- هيَّا أدخليها.

خرجت وبعد لحظات دخل رجل وخلفه امرأة تحمل طفلًا رضيعًا، يظهر من مظهرهم أنهم متوسطي الدخل، أشرتُ لهم بالجلوس وظهر على الأم الإجهاد والقلق، فبدأ الأب بالحديث بنبرة حزينة:

- (تميم) ابني عمره الآن خمسة شهور بدأ منذ حوالي عشرة أيام بالبكاء والصراخ بشكل غريب عن عادته الهادئة بعض الشيء، ولكن قد لاحظت والدته وهي تُغيّر له ملابسه بوجود شيء مُتكوِّر وصلب أسفل سُرته مما دفعني للذهاب للطبيب

وطلب مني القيام بالأشعة وبعض الفحوصات، ولكن...

صمتَ قليلًا وهو ينظر للطفل وأردف:

- ولكن وجدنا تميم ينزف مخاطًا دمويًّا، أسرعنا حينها للطبيب والذي رشح لنا سيادتك لأنك لديك خبرة كبيرة في مثل تلك الحالات.

وهنا أعطاني الملف الذي يحتوي على ما ذكره من فحوصات سابقة وعلمت أن الرضيع يعاني من الانغلاق المعوي، وهذا يحدث بسبب نشاط زائد لخلايا النسيج اللمفاوي على جدار المعدة، وكان يجب أن أشرح لهم خطورة هذه الحالة، أجبته بنبرة هادئة:

- كما أخبرك الطبيب السابق وأكدت تلك الفحوصات أن تميم يعاني من حالة انغلاق معوي وهو بمعنى مبسط دخول جزء من الأمعاء في جزء آخر، ولكن وصول حالة الطفل لإخراج مخاط دموي هلامي القوام كما ذكرت فهذه إشارة ليست جيدة بالمرة، وعليه يجب أن نقوم باستئصال الجزء التالف من الأمعاء أو المسبِّب لذلك بشكل سريع.

نظرت لقلق عيونهما، وأكملت بابتسامة خفيفة على وجهي:

- اطمئنا، تلك عملية بسيطة بالنسبة لي ولكنها شاقة على الطفل ويحتاج رعاية سريرية بعدها.

- ربي يجعل الشفاء على يدك.

هنا نطقت الأم بدعوتها لي فأكملت:

- الآن يجب الإسراع بإجراء العملية فكل يوم تأخير هو عبارة عن خطورة زائدة على تميم، يمكننا أن نقوم بها يوم الجمعة القادمة. بعد يومين من الآن.

- بالتأكيد يا دكتور، وكم تكلفة تلك العملية؟

كان سؤاله بتردد وظل بعدها يراقبني بعينيه هو وزوجته يترقبان إجابتي بقلق حتى تنهدت قائلًا:

- أنا أقوم عملياتي عادة هذه الأيام في مستشفتين الإرسالية الألمانية وجزيرة الشفاء، يمكنك الاختيار بينهما لا يفرق معي، هذا اختيارك أنت حسب مقدرتك، وأنا آخذ خمسة عشر ألفًا سواء هنا أو هنا وهذا من أجل تميم فقط، يمكنك أولًا أن تدفع خمسة آلاف تحجز موعد العملية بالمستشفى اليوم أو غدًا بالكثير، أما بالنسبة لي أنا آخذ تكلفتي كاملة قبل أن ادخل غرفة العمليات، أنتظر أن تؤكد عليَّ بالحجز غدًا أبو تميم مثل أبو جاسم المطعم الذي طلبت منه وجبتي منذ قليل.

لم يضحك لدعابتي فضربت سطح المكتب بكف يدي وأنا

أشكره في جدية:

- شكرًا، تشرفت بكم وألف سلامة على تميم.

أنهيت حديثي بهذا الشكل دون أن أعطيهما فرصة للمقاطعة أو التحدث معي في أي شيء، وتركت لهما حرية الاختيار في إنقاذ ابنهما أو قتله، كلامي فظ أعلم ولكنها الحقيقة، أنا مجرد أداة للإنقاذ ولست المنقذ، فخرجا بصدمة وتصلب ملامح، ينظران لبعضهما حتى وصلا لباب العيادة، خرجت الأم حاملة الطفل والأب خلفها وحين رأيته يحاول أن يلتفت لي ليقول شيئًا فاجأته بأني صحت على لبنى:

- لبنى، إذا وصل عامل التوصيل أرسلي لي الطعام فورًا.

فنظر لي في حزن وعاد أدراجه منكسرًا، لا يفرق معي أي شيء كله إلا أن أخسر متعتي في الحياة، وهما اثنان فقط، أولهما الطعام ولذته، وثانيهما المال، والمال يأتي من تلك الحالات التي تقف على باب عيادتي، وكما قال والدي «قبل أن تطلب اللحم الدسم، تأكد أولًا أن محفظتك دسمة» الله يرحمك يا والدي كَمْ كان حكيمًا.

جاء يوم العملية وتجهزت كعادتي وذهبت للمستشفى المتفق عليها بعد أن جاءني مكالمة منهم يخبروني بأن والد الطفل دفع المقدم وتم حجز العملية اليوم، وصلت المقهى

الخاص بالمستشفى أتناول فطوري الثاني السريع، وأثناء اِلتهامي للشطيرة الثالثة تفاجأت بوقوف والد الطفل أمامي يلهث أنفاسه، رحب بي وهو ينهج:

- أهلًا يا دكتور أنور، لقد بحثت عنك في كل المستشفى بعدما أكدوا لي أنك وصلت من نصف ساعة، حتى أرشدني أحد من طاقم التمريض بغرفة العمليات عن مكانك هنا.

لم أعِر لكل ما قاله انتباهي وسألته دون النظر له وأنا أكمل وجبتي:

- ثم؟

تفاجأ بردي الجاف فأجاب متسائلًا:

- عملية ابني موعدها اليوم يا دكتور، هل نسيت؟

وضعت ما تبقى من الشطيرة جانبًا وفتحت عبوة المياه الغازية وشربت منها نصفها ثم تجشأت مرتين وأنا أمسح يدي والتفت نحوه وأنا أجيبه بكثير من الغضب:

- لست أنا من نسي بل أنت الذي نسى.

نظر لي وسأل في تعجب:

- نسيتُ ماذا؟

- نسيت ما اتفقنا عليه يا أستاذ.

أمسكت هاتفي وفتحت شاشته وأظهرتها له معاتبًا:

- لم تصلني حتى الآن رسالة من البنك تفيد بأنك أودعت حسابي فيه أو حتى يهاتفني موظف حسابات المستشفى ويخبرني أنك أودعته في الخزينة.

- أخي سوف يصل قريبًا ومعه المبلغ المطلوب، ابدأ العملية الآن وسوف تخرج لتجد مبلغك جاهزًا، أعدك بذلك.

قالها وهو ينظر لي محاولًا أن يطمئني، ولكن للأسف هذا لن يخيل عليَّ، هاجمتني رائحة كبدة تتراقص في طاسة المطعم، فتركته واقفًا وأشرت للنادل الذي اتجه نحوي مهرولًا فهو يعلم أني عميل متميز بالنسبة له:

- قل للشيف أربع شطائر وصاية كبدة إسكندراني غارقة في الليمون والطحينة.

نظرت لوالد الطفل الذي يراقبني دون أن يتفوه بكلمة وكي أرغمه على الرحيل مِلت نحوه وسألته:

- هل أطلب لك اثنين معي؟

- شكرًا.

قالها وهو تائه في وجهي ثم سقطت عينه أرضًا وانصرف،

وبعد نصف ساعة عاد ومعه زوجته وجهها مبلل من البكاء متوسلة:

- أرجوك يا دكتور، قُم بإجراء العملية وسوف ندفع لك ما تريده، أخوه قادم من المنصورة والطريق هو السبب في تأخيره، أقسم لك وحياة تميم عندي سوف تأخذ مالك، أرجوك أتوسل لك، تميم منذ لحظات نزف من أنفه الكثير من الدماء وحاول طقم التمريض بالأسفل إسعافه، وأكدوا لي أن حالته خطيرة ويجب إجراء العملية فورًا، أرجوك يا دكتور أرجوك.

كان حديثها هذا له أثر سلبي عليَّ للأسف فأنا لا أستطيع أن أتناول كيك الشكولاتة إلا وأنا سعيد، حتى إني أتناولها في البيت أمام أحد أفلام محمد عوض وفؤاد المهندس القديمة، وتلك السيدة الكئيبة أفسدت تلك اللحظة وأفسدت شهيتي في النهاية، فألقيت الشوكة في الطبق ومسحت فمي بمنديل ورقي والتفت لها منفعلًا:

- هذا ابنكما افعلا له ما ترغبان، أنا مجرد سبب في شفائه ليس أكثر، هذا إذ فعلتما ما يجعلني سببًا من الأساس، اجتهدا أكثر من أجل تميم وأنا في انتظار ذلك، ولكن لا تتأخرا، أنا سأظل هنا لنصف ساعة أخرى ليس أكثر، وبعدها سوف أرحل ونخسر جميعًا. يكفي أني سأكون حينها خاسرًا

ساعتين من يومي وأنتم خاسران أكثر من خمس سنوات من عمركم.

نظرا لي بعيون يملؤها الغضب مني صامتين فنظرت لساعتي، وتفوهت بكلمات محددة:

- مرت دقيقة من النصف ساعة وأنتما مازلتما هنا.

(المحقق)

لا أنكر أن ما حدث زاد من حنقي لهذا اللعين الذي يشاهد التلفاز بالأعلى ليعلن عن تحديه الفَذّ لما يحدث بالأسفل وأنه مستمتع به، كم أرغب بشدة لمعرفة هوية هذا الشخص المستفز المثير للأعصاب، ولكني سوف ألتزم بكلمتي للنهاية وأنتظر حتى تنتهي المدة المحددة، لاحظت نظرات الجميع من حولي منتظرين قراري النهائي، فرفعت قدمي وعدت للخلف وأنا أضغط على أسناني غضبًا، وقلت وأنا أتقدم نحوهم:

- سوف أكمل عملي، ولن يشغلني هذا اللعين.

اقتربت من الجثة وجثوت قربها وتفحصتها بشكل أكبر دون أن ألمس شيئًا، فلاحظت فعلًا ما قاله حسن عن القطع أسفل الرقبة، وأن الجلد ليس شاحبًا بشكل كبير، وأن الملاءة الملفوفة بها الجثة ملاءة بيضاء خشنة تشبه الكَفن، ولكن إن صحَّ ما ذكرَه حسن هذا بأن هناك من شرَّح تلك الجثة، إذًا هناك عدة احتمالات لهذه الواقعة، أولًا أن يكون هذا الرجل المُسنّ توفي بشكل طبيعي ثم هناك من قام بتشريح الجثة ونقلها إلى هنا، أو يكون قُتل فعلًا ثم تم تشريحه ونقله إلى هنا، أو يكون قد قُتلَ هنا وتم تشريحه هنا أيضًا، والطابق الأعلى هو مسرح الجريمة الفعلي، فأنا لم ألاحظ أي شيء

يدل على ارتكاب الجريمة هنا. لا توجد آثار لعنف قد حدث، الأثاث مُرتب بشكل جيد ولا يوجد أثر لأي دماء عليه أو على الأرض وبالأخص أسفل الجثة.

نهضت من جلستي وأنا أنظر للجميع في صمت ثم سألت وأنا أشير نحو الجثة:

- مَن منكم يعرف هوية القتيل؟

نظروا الجميع لبعضهم البعض دون أن يتفوهوا بشيءٍ مما جعلني أكمل سؤالي ساخرًا:

- هل هو صديقكم السابع مثلًا وتخلصتم منه؟

صاح أنور وهو يتقدم نحوي:

- لا يا حضرة الضابط، أنا عن نفسي لم أرَه من قبل.

- وأنا مثله.

قالها رشدي بثقة ثم تبعه الجميع، مما دفعني للسؤال عمَّا يحيرني فيما يخص تلك الرسائل الغريبة وقلت وأنا أخطو نحو البار بنبرة هادئة:

- منذ أن حضرت هنا وقرابة الساعة الآن وأنتم جميعًا لم تتفقوا على شيء إلا سوى الآن، ولهذا أتمنى أن تتفقوا مرة ثانية في إجابة سؤالي القادم:

- ماذا يعني الثلج الأحمر هذا؟

فاجأني طه بعلو صوته وهو يجيب بثقة:

- الاسم ليس غريبًا عليّ. أشعر أني قرأته من قبل، ولكن المتأكد منه أنه لا يربطنا جميعًا بشيء وهذا هو الغريب في الموضوع.

أثناء حديثه هذا كنت أتفحص البار والكؤوس الست على سطحه الخشبي ووسطهم زجاجة الخمر وعلى الحائط خلف البار رفوف عدة اصطفت عليها الكثير من الكؤوس والزجاجات الفارغة كمظهر جمالي، ما إن أنهى طه حديثه حتى تقدمت أمُرّ بينهم وأراقب عيونهم وردود أفعالهم وسألتهم مستغربًا:

- لم أسمع من أحدٍ فيكم ما يفيد سؤالي عن الثلج الأحمر، الذي من المفترض أنها كُنية الشخص المُدبِّر لكل هذا والسبب في تورطكم في هذه الجريمة.

التفت وأنا أشير بسبابة يدي نحو الجثة ثم أردفت:

- هذا على افتراض أنكم جميعًا أبرياء وأنا أثق في عدم حتمية هذا، ولكن ألا يوجد منكم مَن يعرف هويته؟

تقدَّم جلال خطوة نحوي وهو يجيب بثقة:

- لقد أخبرناك من قبل عن هوية الشخص المدبِّر لكل هذا.

- نعم فعلنا.

قالها أنور وأومأ عزمي مؤكدًا على كلامه ثم تبعه رشدي وطه، حتى أردف جلال وهو يشير نحو حسن:

- وأنا لا أريد أن أُزج في أي شيء لم أرتكبه بسبب شخص مجنون.

ضحك حسن ضحكات ساخرة متقطعة وقال وهو ينظر لجلال بنبرة هادئة:

- والآن أصبحت مجنونًا ايضًا.

ثم التفت بعينيه ينظر في أعين الباقين وصرخ قائلًا:

- فعلًا أنتم لا تستحقون أي شفقة مني، وكم أتمنى لكم الموت فعلًا.

ثم صمت قليلًا وأكمل بابتسامة صغيرة بجانب فمه:

- ولكني أعلم أيضًا أنها ليست نهاية سعيدة لي، لأنكم سوف تكونون معي في الجحيم في النهاية، فهذا ما نستحقه.

ثم أشار بسبابته المرتعشة محذرًا بغضب وصوت مرتفع:

- وهذا ما نستحقه لا تنسوا ذلك.

رأيت قوة حسن الحقيقية في لفظه لتلك الكلمات كم كانت قوية ومسيطرة عليهم، برغم جلسته وتقيده بكرسي متحرك ويده المرتعشة، إلا أنه أبرز شخصية قوية ترتسم بملامح صامتة لكن مخيفة، جحظت عينه لتعلن غضبها حتى تثير الرعب في كل من يراها فيخضع لأمره مرتجفًا، نعم لقد رأيت الخوف في عين عزمي وأنور والضعف المُتستر في عين جلال، ورأيت الغضب في عين رشدي، أما طه فلم يتحكم في جمح غضبه وصرخ وهو يقترب نحو حسن قائلًا:

- أنت من يستحق أن يموت ألف مرة، وحذاري أن تكرر ما قلته مرة أخرى وإلا...

أمسك طه بطنه وتقلس وجهه قليلًا صارخًا:

- ألم غريب ببطني.

ثم تبعه جلال متألمًا وهو يمسك بطنه هو الآخر:

- وأنا أيضًا.

ثم أمسك عزمي بطنه وجثى على الأرض بجوار الجثة وصرخ متألمًا حتى فوجئت بصرخة رشدي وحسن وأنور متألمين يتلوون جميعًا من ألم اجتاح بطونهم، كنت أشعر أنها تمثيلية قد اتفقوا عليها لخداعي فعدت للخلف عدة خطوات مبتعد عنهم حتى أكون مستعدًا لأي حركة يحاولون

أن يباغتوني بها، وفجأة شاركتهم الهواتف برنين استلام الرسالة المزعج، فأمسك الجميع هواتفهم بحركات تشبه حركات الأفعى وهي تتلوى أمام عازف المزمار الهندي.

أخرجت أنا الآخر هاتفي حتى أقرأ الرسالة القادمة مثلهم والتي كانت من اللعين الذي يمرح بالأعلى وكان نَصُّها هذه المرة:

«لقد وضعت السم في زجاجة الخمر وسوف تتألمون لمدة ساعة أو أكثر حتى الموت، الخلاص في اتباع أوامري.. يُتبع (الثلج الأحمر)».

كانت نظرات الصدمة تتنقل بين وجوهم جميعًا فبرغم شعورهم بالألم الذي أظهروه لي إلا أن وقع هذه الرسالة عليهم كان أشد ألمًا، حتى لاحظت رشدي يستند على الحائط وخبطت يده المترنحة زهرية كانت على طاولة رفيعة متوسطة الطول بجانب الأريكة تقع وتنكسر أسفل قدميه، فلم يبالِ بها وأكمل سيره مستندًا على الجدار خلف الأريكة حتى وصل لحسن بعين تشع غضبًا ووجه ازداد احمرارًا، انقضَّ على رقبة حسن وقبض عليها متسائلًا:

- ماذا وضعت في تلك الزجاجة أيها اللعين؟ أنا لن أموت الآن، أنت من يجب عليه أن يموت.

تحرك الجميع نحوه وهم يتألمون مُمسكين بطونهم في محاولة لمنعه عن فعلته، ولكنهم وجدوني قد سبقتهم ووضعت سلاحي الناري على جبهة رشدي وأنا أقول بنبرة آمرة:

- إذا كنت لا تريد الموت الآن، فلا تفعلها وأبعِد يدك عن رقبته وإلا سوف يفعلها هذا الشيء المعدني، وأعدك هي ثانية واحدة وسوف تسبقه للجحيم.

نظر رشدي لي بعينين تلعنان وجودي ثم سحب يده من على رقبة حسن وعاد بهدوء للخلف وقال بكثير من الألم:

- لن أقوم بأي شيء آخر، ولكن أجبر هذا اللعين صاحب الحفل أن يخبرنا بماذا وضع لنا في زجاجة النبيذ كي نستطيع أن نعرف كيف ننقذ أنفسنا.

نظر نحو الدَرج وارتفع صوته وصاح مهددًا:

- أما عن شريكه هذا المُرسل لتلك الرسائل فانا لن أنفذ أي شيء، أنا الدكتور رشدي فاروق لا أحد يأمرني بشيء.

تحرك أنور نحو الدَرج وهو يعتصر شحوم بطنه ورأسه تتحرك يمينًا ويسارًا معلنًا رفضه وخاطب من بالأعلى في تذلل:

- لا لا، لا تنصت له أنا سأفعل أي شيء تطلبه، ولكن يجب أن أظل حيًّا فأنا لم أستمتع بحياتي بعد.

وتبعه عزمي وجلال بقولهما:

- نعم سوف ننفذ ما تطلبه.

كانا يتحدثان لمن بالأعلى هذا المعتوه وكأنه إلههم اللحظي، حتى صرخ فيهم طه بغضب:

- يا أغبياء وإذا نفذتم ما طلبه هذا المجنون وأنقذكم من السم، فهل نسيتم أننا مازلنا متهمين بجريمة قتل هنا، ومن الممكن أن نسجن ونشنق، أنا لا أرى أي فارق بين الاثنين، سواء نفذت أو لا، فهناك من يدير كل هذا وأرى أنه ينجح فيما يفعل.

ثم اقترب من رشدي وربت على كتفه مؤازرًا فالتفت أنور نحوه معترضًا بصوته الأجش:

- لا يفرق معي سوى ألا أفقد حياتي بهذا الشكل، فأنا لا أستحق هذا، أنا لن أحاسب على فاتورة أحد غيري، وسوف أنفّذ ما يأمرنا به من بالأعلى.

اقترب منه عزمي مدعمًا:

- أنا أؤيد أنور في حديثه فأنا لدي ولد أريد أن أرى نجاحه،

أسرتي تحتاجني ولن أموت بسبب غرور وتكبر رشدي.

كنت أريد أن أضحك من سخرية القدر فمنذ ساعة واحدة كانوا هؤلاء يتمنون ألا تُدَسّ أرجلهم في جريمة قتل، وأقنعوني بأن أصبر ساعتين حتى يثبتوا براءتهم بوعد من مجرم مجهول يشاركنا هذا المكان أن يُسلّم نفسه في النهاية، والآن أصبحوا يتمنون أن يبقوا أحياء حتى ولو زُجوا في السجن.

لحظات وأنا أشاهدهم يتألمون أمامي حتى استلمت رسالة على هاتفي حينها نظر الجميع نحوي، وكانت من اللعين الثلج الأحمر وكان نَصُّها:

«التقط صورة جيدة لما سوف تجده فوق بطن الجثة (الثلج الأحمر)».

نظرت لهم وقرأت عليهم الرسالة، حاول طه الاقتراب من الجثة أوقفته محذّرًا:

- لا يجب أن يمس أحد الجثة، أنا من سيفعلها.

أمسكت منديلًا ورقيًا وأخذت شوكة معدنية كانت على الطاولة الطعام، وجلست بحذر بجوار الجثة، وبأسنان الشوكة سحبت الكفن الأبيض كي يكشف عن بطن الجثة، ظهر صدره المشقوق والذي كان موشومًا أاشكال وحروف

ورسومات غريبة متداخلة بأشكال هندسية، وكأنه طلسم أو تعويذة أو ما يُشبه تلك الأشياء التي تأتي في الأفلام المصنَّفة رعب، أهملتها وأكملت سحب الكَفن رويدً رويدًا حتى ظهرت ورقة مربعة وصغيرة الحجم، تم خياطتها ببطن الجثة العلوي، كانت ورقة خاوية لا تحتوي سوى على رمز الاستجابة السريعة أو ما يعرف بالـ QR code.(1)

قمت بتنفيذ ما طلبه هذا اللعين وفتحت كاميرا هاتفي لتقوم بمسح ضوئي لهذا الرمز وإظهار إشعار يخبرني بفتح رابط إلكتروني، ما إن ضغطت عليه حتى فتح معي ملفًا مكوَّنًا من صفحة واحدة لا تحتوي إلا على لعبة الكلمات المتقاطعة محلول جزء ليس بقليل منها، والجزء الناقص تم تبديل اللغز به ووضع ترقيم لستة أسرار بالإضافة لما يُسمَّى بالسر الأكبر، أثناء قراءتي لهذا اللغز الغريب قام طه ومسح

بهاتفه الرمز وفتح الملف ومن بعده تبعه الآخرون، وصرخ أنور متألمًا وهو يشير نحو عزمي:

- لا أحد يطيق تلك اللعبة اللعينة سواك، أتريد أن تقتلنا هنا بسبب تفاهتك يا مجنون.

- أنت على صواب يا أنور فعلًا هو الوحيد الذي يلعبها فينا.

ردَّ طه بتلك الكلمات مستغربًا ومتقدمًا نحو عزمي، ولكن قبل أن يقترب منه رفعت سلاحي الناري مذكرًا إياه بألا يرتكب أي تصرفات متهورة أخرى، استند عزمي على الحائط مستهجنًا:

- مَن يهوى لعب الكلمات المتقاطعة في الجريدة الصباحية حتى الآن، لن يكون على دراية بتلك الأمور التكنولوجية المتطورة حتى إنه يصمم ورقة ويربطها بهذا الكود، أنا أغبى وأجهل واحدًا فيكم في تلك الأمور وأنتم تعرفون عني هذا جيدًا.

أومأ الجميع إيجابًا وردَّ طه مؤكدًا:

- نعم نعرف عنك أنك جاهل بكل أمور التكنولوجيا لا أحد ينكر ذلك، ولكنك أنت الوحيد الذي تلعب تلك اللعبة اللعينة.

- أتفق معك ولكن لماذا لا تشكون في جلال فهو الخبير

التكنولوجي فينا والمُواكب لكل جديد.

ضحكَ جلال ساخرًا وردَّ وهو يحتضن بطنه من الألم:

- ما تدعي أنك تجهله يا عزمي، الجميع أصبح الآن يعلمه جيدًا، ألم ترَ أننا توجهنا ومسحنا بكاميرا هواتفنا الشكل مثلما فعل الضابط محمود، وهذا ليس غريبًا في ظِل عالم التكنولوجيا، الغريب أنه في نفس هذا العالم هناك مَن يزال يلعب الكلمات المتقاطعة حتى الآن، ليصل به جنونه أن يجبرنا على لعبها مقابل حياتنا.

تقدم رشدي وهو يشير لجلال بسبابته ليثني على حديثه:

- معك حق يا جلال إذًا هو شريك هذا المجنون الآخر.

قالها وهو يشير لحسن، ولكن لم يكمل حديثه فلقد تفاجأنا جميعًا باستلام رسالة على هواتفنا وكان نَصُّها:

«من سيستلم الرسالة القادمة عليه أن يعترف بالسر الذي يخص حلّها، وإذا لم يقل الحقيقة أو امتنع أو كذب لن يعرف مكان قارورة الترياق الخاص به (الثلج الأحمر)».

وهنا تحدَّث حسن بشيء من الهدوء:

- أرى أننا نضيع وقتنا بهذا الحديث علينا ننهي تلك اللعبة كي نرضي هذا المجنون وننقذ أرواحنا، دعونا نركز فيما

توصلنا له وهو هذا اللغز وكما نعرف جميعًا أن عزمي هو الأعلم بنا بهذه اللعبة فعليه أن يساعدنا في حلها، الغبي الغبي من يعترف بغبائه دائمًا، والغبي الذكي من يعترف بذكاء الآخرين، فالأول يخسر كل المعارك والثاني يخسر جولة واحدة.

نظر للجميع فصمتوا وأدركت مدى قوته وسُلطته عليهم، ثم أشار نحو عزمي:

- أرجوك يا عزمي أخبرنا ما يساعدنا على حلّ هذا اللغز.

تنهَّد عزمي وهو نظر للجميع نظرة انتصار ملؤها النشوة واسترسل:

- تلك اللعبة تعتمد على المعلومات العامة والحصيلة اللغوية من الكلمات من المرادفات والتضاد، يحدد اللغز بشكل رأسي وشكل أفقي، وكل لغز يتكون من عدد حروف محددة تساوي عدد المربعات البيضاء عند رقم اللغز، والمربعات السوداء هي دليل على انتهاء الكلمة أو فاصل بين كلمتين أو أكثر حسب اللغز، وعندما تشرع في الحل يمكنك التأكد من اللغز المقابل لك في نفس عدد المربعات لكي تتأكد من الحل الذي توصلت له أو تساعد على تقليل الاحتمالات التي توصلت لها.

تحرك وهو يستند على الحائط بكتفه حتى أمسك

بمنديل ورقي وبدأ يرسم عليه مربعات اللغز وهو يستند على الطاولة المقابلة للمقعد الذي كانوا يجلسون عليه في التحقيق معي، ونقل اللغز من الهاتف على الورقة كما هو وأردف وهو يتنهد من الألم:

- أما عن اللغز الذي معنا فقد تم حل جزء ليس بقليل منه، ويمكنك ملاحظة اللغز بحلها في المربعات البيضاء لكي تتأكدوا مما أخبرتكم به.

وبدأ في شرح كيفية حل الكلمات المتقاطعة من خلال التطبيق على اللغز الذي تركه لهم القاتل ونقله على المنديل، ولقد عثر به على ألغاز محلولة بشكل كامل وألغاز ناقصة فأكمل حلها، وتبقى أمامه الألغاز المجهولة وعددهم سبعة، واحد باسم السر الأكبر والباقي تم توزيعهم بشكل عشوائي من السر الأول للسر السادس بين ألغاز الكلمات المتقاطعة العشرين الأفقية منها والرأسية، ويتضح من هذا أن عدد الأسرار يخص عددهم الستة، ولكل واحد فيهم رسالة بسر خاص كما نصت الرسالة الأخيرة من المعتوه الذي يلعب بنا جميعًا بالأعلى، وإذا نفذوا أوامره من المحتمل أن يمنحهم الترياق لعذاب هذا السم الذي يخور في بطونهم الآن. تفاجأنا بتوقف صوت التلفاز بالأعلى وعمَّ الصمت المكان، حتى فزعنا لصوت رنين رسالة من هاتف واحد فقط هذه المرة

وكانت من نصيب عزمي، الذي ارتعش وهو ينظر لنا ودنا منه الجميع وهو يفتح الرسالة وقرأها بصوت مذبذب وكان نصها:

«10 أفقي (قتل النفس بنفس النفس - أصل الأمومة معكوسة)، اعترف وتحصل على قارورة الترياق (الثلج الأحمر)».

اتجه للمنديل الذي نقل عليه اللغز وبدأ في ملاحظة الخط الأفقي العاشر والذي كان يتكون من كلمتين يفصل بينهما مربعان أسودان الأولى من ستة أحرف والثانية من اثنين، وعاد لقراءة الرسالة مرة أخرى وهنا صرخ أنور منهارًا:

- سوف نموت هنا بسبب هذا المعتوه الذي يُرضي ساديته بتلك الألعاب اللعينة، وأنا لا أريد إلا ثلاثة أشياء مثلما يفعل هذا الضابط.

وأشار نحوي ثم أردف:

- الجلوس والطعام وأن أقتل هذا المعتوه.

- قتل النفس؟

قالها طه مفكرًا فأكمل عزمي:

- قتل النفس بنَفْس النفس هو الانتحار، نعم الكلمة الأولى

هي انتحار ستة أحرف بدون الألف واللام (ا،ن،ت،ح،ا،ر)

- الأم.

كان هذا صوت حسن، قالها فالتفت الجميع له وهو يكمل:

- أصل الأمومة هي الأم.

- نعم نعم صحيح، ولكن أم بدون التعريف، وتكتب معكوسة (م-أ).

قالها جلال وهو يؤكد على توقُّع حسن فكتبها عزمي بيد مرتعشة وهو يردد عبارة:

- انتحار أم.

ألقى بظهره مستند على قدم المقعد وهو يمسك وجهه قابضًا عليه حتى أفلته وردَّ في غضب:

- علمت الآن ما يريده هذا المعتوه، يريدني أن أعترف بالسر الذي يخص هذه العبارة، وهو بالفعل سر عظيم في حياتي، ولكن لكي أتمسك بحياتي سوف أعترف، وهذا من أجل زوجتي وابني فأنا أريد أن أفعل لهم المزيد.

نظر لأعلى محدّثًا من بالطابق العلوي ووجهه كاظم:

- أغلقت التلفاز كي تنصت إلى اعترافاتنا أيها المعتوه،

تمارس ساديتك علينا وتتسلى وتتلاعب بنا، لن أخاف وسوف أعترف، ولكن إذا لم أحصل على الترياق الخاص بي بعدها سوف أصعد لأعلى وأقتلك ولن يرحمك مني أحد.

بلع ريقه وتنهد ثم أردف:

- منذ فترة جاءتني مطربة معروفة كانت قد أصيبت في حادثة اعتداء من زوجها الذي ألقى عليها ماء نار كاوية، وكانت إصابتها خفيفة وطلبت مني إجراء عملية تجميل لما أصابها من تشوه في رقبتها، وذلك بسبب نفور ابنتها منها، ولقد قبلت واتفقت معها على إجراء العملية ولكن بعد يوم أو اثنين تفاجأت بأن زوجها ينتظرني بالمرآب أسفل العيادة وهددني بأنه سوف يكرر ما فعله بزوجته، ولكن مع يحيى ابني وزوجتي إذا لم أنفذ ما طلبه مني، وكنت أظن حينها أنه يريد مني أن أبلغها برفضي القيام بالعملية والاعتذار عنها، ولكنه بالعكس طلب مني أن أقوم بها ولكن أن أصيبها بعاهة مستديمة تمنعها من التفكير في العودة لعالم الغناء والشهرة مرة أخرى.

نظر نحونا ثم هرب بعينيه ونظر للأسفل وهو يردف:

- للأسف قبلت عرضه، ولكن ما طلبه كان من الممكن أن ينهي حياتي المهنية و يزج بي في السجن، ولذلك فكرت في أمرٍ آخر، وذلك بعد أن درست ملفها الطبي جيدًا ووجدت

أنها من الأجسام المعرَّضة للإصابة بسرطان الجلد وهذا كان دوري؛ أن أستغل العملية والفحوصات المطلوبة والعلاج، وأدخلت مادة (فينيتوين) ومادة (ألوبيورينول) في خطة العلاج، وقبل كل هذا أخبرت زوجها بخطتي وأنها سوف تأخذ فترة من الزمن حتى نصل لما يرغب فيه ووافق عليها، وبدأت في التنفيذ حتى أصبحَت في النهاية مصابة بأسوأ درجة من التهاب الجلد التقشري والذي تطور حتى وصل لسرطان الجلد، وبعد أن غابت عن الإعلام والشهرة واختفت بسبب حالتها المزرية ومظهرها المخيف والذي كان مصدر رعب لابنتها، مما دفعها للأسف للانتحار بعد ما خسرت أكبر شيء حاولت الحفاظ عليه؛ وهو ابنتها لتكون نهاية تلك القصة هي «انتحار أم».

نهض من جلسته ويداه تلمع من العرق ثم نظر بغضب للجميع وصاح غاضبًا:

- لا تنظروا إليَّ هكذا أنا أيضًا ضحية كنت في النهاية أحمي أسرتي، ولا يفرق معي أي شيء أمام ابني وزوجتي.

رن هاتفه بنغمة الرسالة، وهنا التفَّ الجميع حوله ليقرأوا الرسالة معه ولكنه وضع يده على الشاشة وأشار لهم أن يبتعدوا عنه وصرخ فيهم:

- لن يأخذ أحد ترياقي، لقد اعترفت أمامكم جميعًا

بجريمتي ولن يستحق المكافأة أحد غيري، أنا أعرفكم جيدًا أيها الملاعين.

قال تلك الكلمات وهو يعود للوراء حتى وصل بجانبي وطلب مني بتودُّد:

- يجب أن تحميني منهم حضرة الضابط، حتى آخذ ترياقي، فلقد أرسل لي هذا المعتوه رسالة بمكان الترياق مكافأة على فضح نفسي وإرضاء نشوته.

فكرت في حديثه رأيت أنه على حق إذا لم أحمِه سوف يتهجمون على بعض في مقابل الحصول على الترياق من السم الذي يجوب في معدتهم الآن، وأمام النظرات الغاضبة من الجميع تحركت خلف عزمي بخطوات بطيئة وبحرص شديد وأنا مُشهِرٌ سلاحي نحوهم حتى وصل بي للبار، ودخل خلفه وأنا أراقبه حتى فتح دُرج صغير في جهة الداخلية من البار الخشبي، ورأيت علامات الذهول تجتاح وجهه، فدنوت منه لأرى ما فزعه بهذا الشكل، لأجد قارورتين صغيرتين وست إبر صغيرة، وهنا وجدته يهمس لي:

- لو علموا أن هناك قارورة إضافية سوف يتصارعون مع بعضهم، ومن الممكن أن يفلت الوضع منك حضرة الضابط، دعني أنقذ الموقف معك.

وهنا أخرج قارورة واحدة ووضعها على سطح البار، ثم أخرج جميع الإبر واحدة تلو الأخرى وهو يراقب نظرات الجميع، ثم أمسك بإبرة واحدة منهم وأغرز سنها في القارورة وسحب منها المادة وحَدّث الجميع بسخرية:

- لقد ترك المعتوه لكل واحد فينا إبرة خاصة.

ثم أردف وهو يحقنها في ذراعه:

- رفيق جدًّا بحالنا، لا يرغب أن نلوّث بعضنا بدمنا القذر.

أفرغ ما فيها بذراعه وتنهد ثم ابتسم للجميع حتى رنت جميع الهواتف برنين رسالة قادمة ومنهم هاتفي، ففتح الجميع هواتفهم ونظروا للرسالة بعيون متسعة مصدومة ثم نظروا لعزمي الذي أصابته الريبة ففتح هو الآخر هاتفه وأنا مثله لأجد أن نص الرسالة هو:

«نسيت أن أخبرك أن هناك سبع قارورات في عدة أماكن مختلفة وقارورتين فقط فيهم يحتويان على الترياق من السم أما باقي القارورات فهم يحتوون على سم مركز، أمامك أكثر من قارورة، ركز فأنت تختار نهايتك، لعبة صعبة مثل الحياة تستحق المخاطرة في النهاية (الثلج الأحمر)».

نظرت لعزمي والذي اتسعت عيناه وأمسك بطنه من الألم ثم خرج القيء من فمه ووقع أرضًا وتراخت أطرافه واهتز

قليلًا ثم فارق الحياة.

«كلما كثرت الأسرار كلما تعقدت وتشابكت مع بعضها حتى تخرج كالأسرار المتقاطعة والتي تغزل في النهاية رداء يليق بجهنم»

الفقرة الرابعة

رَحَم إبليس

(طه عبد العزيز)

ليالي الحظ معدودة هذا ما لم تقله اسمهان في أغنيتها ولكن قلتها أنا، ليالي الحظ تأتي في العمر مرة واحدة وهذه كانت ليلة كتب الحظ اسمي عليها في نهايتها، ليلة من ليالي الربيع الجميلة، كنت أجلس بغرفة نوم السيد فريد المحلاوي أتابع حالته عن كثب فلقد تدهورت كثيرًا في الفترة السابقة وهذا بسبب انسداد في أحد شرايين قلبه، مما أثَّر على وظائف القلب التي تداعت كثيرًا، الساعة قاربت على السادسة صباحًا، وسناء الممرضة أمامها ما يقرب من ساعتين كي تصل حتى تستلم مني متابعته، وأثناء انتظاري دخلت عليّ زوجته يسرا مبتسمة فقالت في خجل:

- لا أعرف كيف أشكرك يا دكتور طه على ما فعلته معنا، حتى أن تبيت ليلتك بجانبه على هذا المقعد الصلب، آسفة أشد الأسف.

- لا تقولي هذا السيد فريد له أفضال كثيرة على والدي الذي أفنى عمره كله في شركته وكان السيد فريد نعم المدير

والأخ الأكبر له، وهذا مجرد رد دين بسيط جدًّا ليس أكثر.

أومأت برأسها وردت في ودٍّ:

- أنت شخص خلوق وأصيل هذا بجانب أنك طبيب قلب شاطر جدًّا.

- هذا من ذوقك، وشهادة أعتز بها.

ثم تحركت نحو طاولة في آخر الغرفة بخطوات أظهرت دلال مفاتنها أكثر وأكثر، وإذ بها تلتفت في اتجاهي وهي تمسك زجاجة نبيذ وسألتني بنبرة ناعمة:

- لا أعلم هل تشرب النبيذ أم ماذا؟ أنا أعصابي ليست على ما يرام، وأريد أن أحتسي كأسًا ولا أرغب أن أتناوله وحدي، فهل تقبل أن أسكب لك واحدًا معي حتى لو لم ترغب في شربه يكفيني أن نتشارك تلك اللحظات.

خطوتُ نحوها وأنا أبتسم وأجبتُ مرحّبًا:

- هذا شرف لي بالطبع، وأنا أشرب النبيذ لا تقلقي وفي مناسبات معينة ليس دائمًا، وبالتأكيد ليس مثل هذا النوع الفاخر بالطبع.

رأيت أجمل ابتسامة في حياتي ثم استدارت لكي تسكب لي كأسي ومنحته لي:

- تفضل.

وضعت الكأس على شفاها مستندًا وسال النبيذ عليها ليذوب بينهما وأنا أراقب هذا بعين متصلبة وجسد مرتعش، مالت برأسها وابتسمت عيناها وسألتني في مكر أنثوي:

- غريب أنك لم تتزوج حتى الآن يا دكتور، أظن من تعرف من النساء أصبن بالعمى بالتأكيد.

شربتُ الكأس كله مرة واحدة وقلت وأنا لا أعرف كيف جئت بتلك الجرأة وأنا أنظر في عينيها:

- مَن أريدها للأسف متزوجة.

انفرجت شفتاها ورسمت أجمل وجه مبتسم ثم تركتني واقتربت من الفراش وجلست بجوار السيد فريد، ثم وضعت الكأس على المنضدة الصغيرة بجوار الفراش، ثم أمسكت يده ونظرت له وشردت قليلًا فيه، كي تعطيني فرصة أن أشرد انا فيها أيضًا وأتأملها عن قرب؛ الشعر المائل إلى سواد الليل، والبشرة البيضاء مثل ضي البدر، والعنق الطويل كشلال من الثلج، وقوامٌ يُدرَّس عليه كيف يكون قوام الأنثى، لا أعرف كيف هذا الجمال الملائكي أن يقبل بتلك الزيجة، أن تفقد زهرة شبابها مع هذا الرجل المسنّ، فهي تصغره في العمر ما يقرب من ثلاثين عامًا أو أكثر، التفتت

لي فانتبهت لها وابتسمتُ، حتى نهضت واقتربت مني وهي تنظر في عيني وأنا أذوب منها، ودنت حتى شعرت بيديها تلمس وجهي وهمست في دلال:

- يمكنك أن تستريح في الغرفة المقابلة حتى تأتي سناء، فلقد ظهرت عليك علامات الإجهاد وهذا حقك عليَّ، فأنا لا أحب أن أراك هكذا.

بلعت ريقي وذاب عرَقي على وجهي وأومأت بالموافقة بصوتٍ خافِض مرتجف:

- لا أستطيع أن أرفض لك أي طلب مهما كان.

وضعتُ يدي على يدها وأنزلتها من على وجهي، ثم وضعتها على راحة يدي الأخرى وشعرت وكأني أقبض على شيء ملمسه ناعم ودافئ، أشعل قلبي نارًا انتشرت في جسدي كله، وكأن قلبي استبدل شرايين الدم بأنابيب من الغاز كي تشتعل جميعها في نفس الوقت، دنوت منها وهمست في حنوٍّ:

- اطمئني، لا تقلقي، أنا معكِ وبجانبك دائمًا.

- واثقة من ذلك يا طه.

قالتها وأنا أذوب منها، تحركت وأنا مازلتُ متمسكًا بيديها

حتى أفلتها مضطرًا وخرجت من الغرفة وذهبت للغرفة المقابلة وأغلقت الباب خلفي وصورتها لا تفارق عيني ولا ذهني، فذهبت إلى الشرفة وفتحت درفتيها ووقفت متأملًا نهار يوم جديد وكأنه كُتب باسمي أنا، ليقول لي هذه بداية تستحقها يا طه، نظرت حولي لتلك الشرفة الكبيرة والتي تضم غرفة نوم السيد فريد أيضًا، فتحركت نحوها بخطوات مترددة ترتعش، أردت أن ألمحها مرة أخرى فلم أشبع منها، سوف أتلصص قليلًا عليها وسوف أعود سريعًا، وبالفعل وجدتها تقف بجوار السيد فريد، ولكن للأسف تقف أمامي بظهرها فلم أرَ وجهها الملائكي، لحظات ووجدتها ترفع قنينة دواء صغيرة غريبة وتغرس فيها إبرة، لم أعرف ماذا أفعل ولكن أشعر أن هناك مَن غدر بي وهذا لن يمر مرور الكرام أبدًا، أنا في غضبي لعين جدًّا، حتى إبليس يكره أن يرى غضبي.

ولذلك لم أفكر كثيرًا، وقررت أن أستغل الفرصة وأخرجت هاتفي وصوَّرت ما حدثَ حتى أفرغت محتوى الإبرة في ذراعه وقبل أن تخفيها في يديها دفعت درفة الشرفة واقتحمت عليها الغرفة، فارتبكت ووقعت الإبرة من يديها وتصلبت مكانها، سحبت منديلًا ورقيًا وأمسكت به الإبرة من الأرض ورفعتها عاليًا أمام وجهها، وصحت بنبرة آمرة:

- بماذا حقنتِ السيد فريد؟

بلعت ريقها ونظرت إليّ بعين خائفة ولم تجب عليّ، فصرخت فيها مكررًا سؤالي حتى انهارت:

- إنه سم، سم، هل ارتحت الآن؟ لقد ذبلت بجانب هذا الرجل، وهو لا يريد أن يموت، هذا اللعين ما زال مُتمسك بالدنيا برغم أنه أخذ منها كل شيء وتمتع بكل شيء وأنا أحترق كل يوم بجانبه، عامان ونصف الآن وهو راقد على هذا الفراش، وعندما شعرت أن عزرائيل يغفل عنه قررت أن أذكِّره به.

توجهت للقنينة الصغيرة التي سحبت منها المادة وأمسكت بمنديل ورقي وتأكدت مما قالت، ما إن التفتّ لها حتى وجدتها ترتمي في حضني وهي تبكي و تستعطفني:

- طه، أرجوك لا تفعل شيئًا نندم عليه يا طه، نحن يمكننا أن ننعم بأمواله ونعيش حياة راغدة، يمكنك أن تفتح عيادة كبيرة، سوف أعطيك ما تريده ولكن لا تبلغ الشرطة عني، أرجوك يا طه لا تفعل.

فتحت الهاتف وشغلت الفيديو الذي صورته لها منذ قليل، وما إن رأته حتى اشرأبت ونظرت لي بغضب وأنا أُهدّدها:

- أنا من يحدد ما سوف آخذه وإلا سوف أسلم هذا الفيديو

للشرطة ومعهم الإبرة والقنينة اللتين تغرقان ببصمتك هدية مني فوق الفيديو لتأكيد التهمة عليك، ولذلك سوف تفعلين ما آمرك به.

- بلا شك أنا تحت أمرك في أي شيء تريده.

وضعت يدي على عنقها الطويل مداعبًا ثم بدأت بعرض شروطي:

- أولًا نصف ما سوف يؤول لك من الإرث سوف يكون لي، ثانيًا سوف نتزوج بعد انقضاء العِدّة.

نظرت بملامح غير مرحبة ورسمت ابتسامة صفراء وهي تومئ برأسها إيجابًا، وهنا دفعتها نحو الفراش بجوار السيد الفريد الذي في استقبال عزرائيل الآن وهجمت عليها هامسًا في أذنيها:

- ولكن الآن يجب أن آخذ حقي مقدمًا منك.

حاولَتْ المقاومة ولكنني صفعتها عدة مرات حتى استسلمت في النهاية، ولكن بعد عدة دقائق نظرت بجانبي وجدت السيد فريد يفتح عينيه وينظر للمشهد بجانبه بعين متسعة وفم منفرج.

(المحقق)

لم تكن صدمة هينة على الجميع وفاة عزمي أمام أعيننا، موته أربكنا جميعًا وأربكني أيضًا بشكل خاص، وفوجئت بتقدُّم جلال نحو البار في محاولة لإنقاذ عزمي ولكني عدت لصوابي وأشهرت سلاحي نحوه فوقف متصلبًا مكانه بجواري وأنا أقف بينه وبين جثة عزمي خلف البار، وقلت محذرًا:

- لا أحد يقترب من الجثة هذا مسرح جريمة هل نسيتم؟ يجب أن أسلمه كما هو بدون أن أفسد شيئًا فيه، ابتعد.. ابتعد.

أطاع أمري وتقهقر خطوتين، ولكن كانت صرخة أنور مفزعة بحق حين سأل:

- ترياقان فقط؟ هذا المعتوه يريد قتلنا جميعًا.

- ولكن ماذا يعني قوله: «أمامك أكثر من قارورة واحدة، ركز فأنت تختار نهايتك)؟» أين الاختيار وهو يعطي لنا قارورة واحدة؟.. أين الاختيار في ذلك؟ لا أفهم.

كان هذا رأي حسن والذي ذكَّرني بالقارورة الثانية التي لم يفصح عنها عزمي قبل أن يحقن نفسه، هل أخبرهم بها؟ أم أصمت وأشاهد ما يفعله بهم هذا المعتوه، لا أنكر أن لعبته

تلك أثارت فضولي وشغفي، وأريد أن أعرف ماذا سوف يحدث بعد ذلك، لاحظت أن رشدي ينظر لي بتعالٍ وتحدث ساخرًا:

- أنت الوحيد يا حضرة الضابط السعيد في تلك الليلة السوداء، قضيتك الليلة سوف تمتلئ بالجثث، لقد أصبحت اثنتين حتى الآن.

قاطع حديثه سماع رنين هاتف جلال باستقباله رسالة، فدنوت منه دون أن يلاحظني وحاولت كثيرًا أن أقرأ الذي وصله وذلك بالأخص بعد أن رأيت جمود وجهه وعينيه تضيقان غضبًا وهو شارد في هاتفه وكان نصها كما قرأتها بشيء من الحرص:

«1 رأسي (عكس بار معكوسة، عضو مسؤول عن إفراز البول من الدم معكوسة) أعترف بسرك وسوف تحصل على مكان الترياق الثالث لكي تختار بينهما (الثلج الأحمر).»

- ما نَص الرسالة يا جلال؟

كان هذا سؤال طه، ولكن ظلَّ جلال شاردًا لم يرد عليه، حاول طه أن يقترب وهو يعرض مساعدته:

- أخبرنا كي نساعدك ويأتي دورنا من بعدك، يجب أن تنتهي تلك الليلة الملعونة بأي شكل.

سُمع رنين لجميع الهواتف باستقبال رسالة، فتحت هاتفي وقرأت الرسالة القادمة والتي كانت نفس نَص رسالة جلال، وكأن مَن بالأعلى قد أدرك أن جلال لا يريد أن يخبرهم بشيء فقرر فضحه وإرسالها للجميع، ما إن انتهيت من قراءة الرسالة حتى فوجئت بجلال قد دفعني بقوة فتعثرت بكرسي البار الذي كان خلفي مما جعلني أسقط أرضًا، وكان جلال قد دخل خلف البار واتجه نحو القارورة الصغيرة التي لم يفصح عن وجودها عزمي وأمسك إبرة وسحب منها السائل وهو يقول بأنفاس سريعة:

- لن يرغمني هذا المعتوه على قول شيء دون إرادتي، لقد ذكر في رسالته لي القارورة الثالثة وهذا يعني أن عزمي عثر على الأولى والثانية، وذلك لكي يطبق علينا هذا المعتوه مبدأ الاختيار السادي، في البداية وضع اثنتين في مكان واحد أمام عزمي وكان عليه أن يختار قارورة واحدة ويترك الثانية لمن يقع عليه الدور بعده والذي أصبح أنا الآن، فألعب لعبته الدنيئة وأكشف سر حياتي أمامكم ويكافئني حينها بمكان القارورة الثالثة كما ذكرَ في الرسالة، حتى أطبق مبدأ الاختيار السادي بين القارورة التي تركها عزمي وبين الثالثة التي سوف أعثر عليها، ومَن دوره بعدي فيكم يتكرر معه ذلك فيختار بين قارورة من تركها قبله وقارورته الجديدة.

قاطعه طه مفسرًا:

- وهذا سبب أنه جعلهم سبع قارورات حتى يظل مبدأ الاختيار مستمرًا لآخر واحد فينا.

- بالضبط، وهذا ما جعلني أصل لتلك النتيجة لأني عندما تقدمت نحو عزمي فور سقوطه لفحص جثته، لاحظت أن الدُرج الذي أخرج منه عزمي الإبر وقارورته ما زال مفتوحًا، ولكنه ما زال يحتوى على قارورة أخرى وهذا ما أكد شكوكي الآن، آسف أيها المعتوه بالأعلى سوف أفسد خطتك فيما يخص مبدأ الاختيار ويجب عليك أن تبدأ من جديد، فأنا لن ألعب لعبتك الدميمة ولن أفضح نفسي ولذلك لن أفوز بمكافأتك اللعينة، سوف أكتفي بالقارورة التي تركها عزمي، ولعلي أكون أكثر حظًا منه ويكون أحد الترياقين بها، شكرًا يا عزمي على تلك الهدية المجانية، ولا أعرف لماذا تعمدت عدم إخبارنا بوجودها؟

نهضت من الأرض ونظرت لجميع في محاولة لِلَم ما تبعثر من كرامتي، وأخرجت سلاحي وتوجهت نحوه بخطوات بطيئة وكان قد أوشك على حقن نفسه ونظر لي وهاجمني باستخفاف:

- والأغرب هنا لماذا طاع أمره حضرة الضابط؟ أليس غريبًا هذا يا رفاق؟

باغتني بهذا السؤال والذي لم يكن في بالي الإجابة عنه، حتى نطق حسن داعمًا:

- نعم لقد رأيت عزمي وهو يهمس لك قبل أن يحقن نفسه بالسم.

- وأنا أيضًا لاحظت هذا.

كان هذا رد رشدي مؤكدًا ملاحظة حسن وأومأ أنور إيجابًا وطه تعاقدت حواجبه الكثيفة غضبًا وهو ينظر لي، ولاحظت أنهم يتقدمون نحوي حتى ولو كانوا مجموعة من العجائز إلا أنهم من الممكن أن يغدروا بي فسحبت صمام الأمان بالسلاح الناري ووجّهته نحوهم، ما إن طرق صوته حتى حذرتهم:

- لا تحاولوا فعل شيء لن تندموا عليه، أتعلمون لماذا؟ لأنكم سوف تكونون موتى، وأنا أرى ألا تستعجلوا نهايتكم.

تقهقر الجميع خطوة للخلف، ولكن ظل حسن ثابتًا بكرسيه يعتصر غضبًا عجلة الكرسي بين قبضته، وهذا شجعني أكثر على التقدم خطوتين. أشرت لجلال بشيء من التوعد أن يثبت مكانه ثم أشرت للبقية آمرًا أن يبتعدوا:

- تحركوا من أمامي، كل واحدٍ فيكم يلتزم زاوية واحدة من هذا المكان مرة أخرى عودوا كما كنتم، هيَّا نفذوا..

قاطعتني صرخة جلال من خلفي وكان يتلوى ألمًا ظلَّ يسب المعتوه بالأعلى بألفاظ نابية ثم شهق شهقة أخيرة وسقط أرضًا بجوار عزمي خلف البار، وكانت صدمة للجميع حتى ضرب أنور وجهه وجلس أرضًا يئن، وهنا صاح غضبًا طه:

- لا، لن أكمل في هذه اللعبة سوف أصعد لهذا المعتوه السادي ولن تفلت رقبته من بين قبضة يدي إلا وهو مانحني الترياق.

ثم نظر لي وقال بعين تشع غضبًا:

- إذا كانت فرصتي في الحياة قليلة تلك الليلة، فلن أهاب أن تقتلني بيدك أو بيد هذا المعتوه.

ما إن أستدار حتى وجد أنور يقف بجسده أمامه يمنعه من المرور ووجهه أحمر غضبًا وصرخ فيه:

- لا يهمني إذا كانت فرصتي في الحياة صغيرة أم كبيرة يكفيني أنها موجودة من الأساس وسوف أمنع أي أحد يجبرني على خسارتها بتهوره.

- ابتعد عني يا أنور أنت تعرف أني حاصل على بطولة الجمهورية في الملاكمة عام تسع وسبعون، فلن تتحمل لكمة واحدة مني، لا يغرك السن فأنا ما زلت أتدرب حتى الآن.

قالها طه محذرًا ولكن لم يستجِب أنور له، ما كان من طه إلا أنه منح أنور لكمة مباغتة في فمه ترنح على أثرها فحاول أن يلكمه لكمة ثانية، ولكن تفاجأ برشدي يمسك يده ويمنعه:

- تمالك أعصابك يا طه، هو لن يتحمل أكثر من ذلك، وثانيًا ما تفعله ليس حلًا بكل تأكيد اهدأ قليلًا يا صديقي.

- لن أقف هنا ويدي مغلولة بسببِ سادٍ لعين اتركني يا رشدي، فلن يفرق معي ما بيننا من صداقة.

قالها طه منفعلًا ثم دفع رشدي بعيدًا وقبل أن يلتفت نحو الدَرج فاجأته بلكمة قوية طرحته أرضًا وحذرته:

- أتمنى أن تهدأ، ولا تثير غضبي مرة أخرى.

وقف الجميع يلهث حتى يجمع شتات أنفاسه فهم في سن ليس مناسبًا لهذا الشِجار، وأنور يمسك فمه بسبب قطرات الدم المتساقطة من بين أصابع يده، ومثله كان طه الذي يمسك أنفه ويمسح ما يسقط منها من دم، حتى رنت هواتفنا جميعًا برنين رسالتين متتاليتين، فتحت هاتفي وقراءتها وفعل مثلي الجميع وكان نصهما:

الرسالة الأولى:

«الحل: عاق معكوسة (ق.ا.ع) والكُلية معكوسة

(ة.ي.ل.ك.ل.ا)»

الرسالة الثانية:

«جلال كان ابن عاق بوالده، اتفق خاله مع والده سرًا أن يبيع كليته بطريقة غير شرعية، دون أن يعرف أن جلال ابنه هو من سيقوم بها وهو من يدير هذا النشاط بالاشتراك مع خاله، وعندما علم جلال بتلك المؤامرة في بداية العملية كان خسيسًا وأكمل إجراء العملية وتقاضى أجرًا كبيرًا على تلك الجريمة، ولم يعلم والده بهذا حتى توفى».

- جلال سرق كلية والده وباعها، كنت أدرك أنه خسيس ولكن ليس لهذا الحد!

قالها أنور وهو يستند على الحائط كي يقف باتزان فأجابه رشدي:

- لهذا لم يرغب في الاعتراف بهذا السر وفعل ما فعله طامعًا في أن يكون هذا هو الترياق فيحصل عليه دون أن يتعرى أمامنا بسره الدنيء هذا.

تحرك حسن بكرسيه نحو الطاولة التي عليها اللغز الذي نقله عزمي قبل وفاته وأنا أتبعه بحذر، وبدأ في كتابة حل لغز جلال لتتضح نسبة ليست بقليلة منه وهو يقول في هدوء:

- ولكن بفعل جلال الغبي لم يكشف عن مكان القارورة الثالثة وفي النهاية قد كشف المعتوه سره، ومعنى هذا أنه يخبرنا الأفضل ألا تتلاعب وتقول الحقيقة، وإلا فلن تحصل على فرصتك الأخيرة في الحياة لأن في كل الأحوال سوف يفضح سرك في النهاية سواء عن طريقك أو عن طريق من بالأعلى.

تقدَّم طه وسحب منديلًا ورقيًا وبدأ في مسح أنفه الذي بدأ يتوقف نزيفه قليلًا وسأل مشككًا:

- وهل تظنون أصلًا أن هناك ترياقًا من الأساس؟ إنه يتلاعب بنا ولن يمنحنا شيئًا، حتى ألم السم أصبح غريبًا، كان شديدًا في البداية ثم بدأ يقل تدريجيًا، ثم يعود ليقل مرة أخرى، لا أعي بالضبط ما يحدث ولكن لا أستريح لأي شيء هنا وبالذات أنت.

هنا أشار نحوي بغضب وتحدٍّ ثم أردف:

- لماذا أخفيت علينا أن عزمي عثرَ على قارورتين؟ أنا لا أستبعد أنك شريك من يلهو بنا بالأعلى.

- هل لديك ردّ مقنع حضرة الضابط على هذا الاتهام؟

قالها حسن وهو ينظر للخلف نحوي، نظرت لنظرات الجميع المتربصة لي وأجبته بكل ثقة:

- لست مجبرًا على إجابة أحد فيكم، ولكن عزمي لم يكن يعلم مبدأ الاختيار اللعين بعد، وتصرف على أساس معرفته بكم، وأرى أنه كان على حق فما أخبرني به قد حدثَ، ما إن علم واحد فيكم أن هناك قارورة إضافية فعل ما فعله جلال الذي تصرف بأنانية وعدوانية، والآن لا تنسوا، أنتم المتهمون أمامي وهذا ليس بعيدًا، سوف تمر المهلة الممنوحة لكم وبعدها سوف تستظلون تحت سقف زنزانتي بالقسم.

- هذا لو تبقى أحد منا.

قالها طه ساخرًا ثم سُمع صوت رنين رسالة هاتف من واحد فينا فنظر الجميع لبعضهم لمعرفة مَن الضحية الثالثة، ليكون أنور الذي نظر لشاشة هاتفه في ذهول ثم بدأ يقرأ بصوت أجش متقطع:

- 2 أفقي يموت أحيانًا ولكن يبقى الجسد بدونه حيّ، يُحترم أكثر إذا كان على اليمين. معكوسة. (الثلج الأحمر)».

ثم أكمل مصدومًا:

- اللعنة عليَّ يجب أن آكل شيئًا فعقلي لا يعمل وبطني فارغة، حاولوا مساعدتي في حلها فلقد كبرت على هذه الألعاب الذهنية والبدنية.

قالها أنور متذبذبًا قليلًا وفي حيرة من أمره وبدأ الجميع في التفكير وأنور يعيد قراءة اللغز عدة مرات حتى قال طه متذمرًا:

- برغم أنك أعقت حركتي عندما رغبت في الصعود لأعلى وكنت تستحق لكمتي لك بكل حق، إلا أني سوف أساعدك.

- هذه عادتك عندما تغضب تكون كالثور الهائج في العيد.

قالها أنور بقليل من السخرية فابتسم له طه مجيبًا:

- تتميز دائمًا بردودك الوقحة السريعة يا عريض الفخذين.

ضحك الاثنان من مزاح طه الذي قال في شيء من التأكد:

- الشيء الوحيد الذي أعرفه ويُحترم أكثر إذا كان على اليمين.

نظر لنا جميعًا ثم ضحك وأكمل ساخرًا:

- ليس أحد هنا بكل تأكيد، لأن الحل هو الصفر يا أغبياء.

- نعم عندك حق هو الصفر وبحروف معكوسة تصبح (ر.ف.ص).

قالها حسن مؤكدًا وبدأ في كتابتها على اللغز ونظر لأنور وسأله:

- أعد يا أنور الجزء الخاص بالكلمة الأولى.

- يموت أحيانًا ولكن يبقى الجسد بدونه حيًّا.

قالها أنور ببطء وشرود وكأنه تذكر شيئًا يخص هذا اللغز فتقدم خطوتين نحو حسن ونظر للغز وبدأ في عَد أحرف الكلمة الأولى ثم قال بهدوء ورتابة موجهًا حديثه لحسن:

- اكتب الحروف بالترتيب ا.ل.ض.م.ي.ر.

- الضمير.

قالها حسن مستغربًا حتى أكد عليه أنور في صدمة:

- نعم، الضمير صفر، تلك العبارة كانت نهاية محادثة بيني وبين والديّ طفل توفى بسبب رفضي التام لإجراء العملية له، إلا بعد أن يُودعا أتعابي بالعملية في خزينة المستشفى، تمسكت بمبدئي وهُما تأخرا ولم يصدقا في وعدهما لي، وأثناء توسلهما إليّ للمرة المليون لا أذكر، جاء أحد من التمريض بخبر وفاة ابنهما بسبب نوبة شديدة من النزيف أودت بحياته في النهاية، صرخت الأم وحاولت أن تتهجم عليَّ لولا أن ابتعدت ومنعها عني زوجها فصرخت فيَّ وقالت «حسبي الله ونعمة الوكيل فيك، أنت جسد حي ولكن بضمير ميت، ضميرك صفر» وكثير من اللعنات والسباب والدعوات التي لم تنتهِ حتى خرجت من المستشفى.

لا أنكر أني نظرت لأنور باشمئزاز وهو لاحظ ذلك فردَّ مدافعًا:

- كانا يحاولان خداعي، لم يكن معهما المال من الأساس، ولقد علمت بعد ذلك أنهما كانا يريدان أن أتورط وأقوم بالعملية وبعد أن يطمئنا على حال ابنهما، يبلغان إدارة المستشفى بأنهما لن يستطيعا دفع شيء وسوف يسلم الأب نفسه للشرطة في النهاية، هكذا كان يفكر أن يضحى بحياته مقابل أن يقوم بعملية لابنه، هو من رغب بالمخاطرة بحياة ابنه ولست أنا، هو من بدأ بالخداع وأنا كنت من البداية صريحًا وجادًّا معه جدًّا، أنا لم أقتل ابنه ولا أشعر بأي ذنب نحوه، لأن والده هو من قتله عندما قرر أن يلعب تلك اللعبة الحقيرة.

لم أستطع أن أتعاطف معه في الحقيقة، ولكنه استلم رسالة بدلت ملامحه وجهه للسعادة وقال لي في نشوة:

- أرجو منك أن تحمي ظهري حضرة الضابط فلقد كافأني من بالأعلى بمكافأة مزدوجة لأني منعت طه أن يصعد له، هذا غير أني أيضًا كنت مطيعًا وقلت حقيقة سري كاملة، والمكافأة هي رسالة بمكان قارورة واحدة وقد عافاني من حيرة مبدأ الاختيار بين قارورتين، هذا غير أن تلك القارورة بها أحد الترياقين.

وأثناء حديثه هذا تحركت خلفه نحو الجدار الذي يقع بين البار والنافذة على الجانب الأيسر من غرفة الاستقبال الأولى بجوار الأريكة، حتى وصل لنقطة معينة ونظر أرضًا وتبدلت ملامحه للغضب والحنق واحمرَّ وجهه بشكل ملحوظ وجلس أرضًا وهو يشير للزهرية التي كُسرت منذ بضع دقائق وليظهر بين أجزائها المنثورة أرضًا بقايا لقارورة تشبه القارورات التي استُخدمت من قبل وهناك سائل شفاف لامع يذوب بين أشلائها.

«هناك بشر يملكون شرًا يجعلك تشك أنهم وُلدوا من رَحَم بنات حواء، بل لُفظوا من رَحِم إبليس»

الفقرة الخامسة

حُكم القاضي

(رشدي فاروق)

كم أعشق وظيفتي، هي إحدى مُتع الحياة التي خص الله بها قلة قليلة من البشر هذا إذ كانوا في وسامتي بالطبع، حواء هي جنة آدم على الأرض، أخرجَتْه من الجنة في السماء كي تُمتعه هنا وتكون مِلكًا له، العالم بدون نساء لا يساوي شيئًا وهي بالتأكيد ليست نصف المجتمع أو تدخل في مقارنة مع آدم في الشيء من الأساس، كيف تقارن بين الرئة والقلب، وهي الرئة التي تشعرك بأنك تحيا عندما تتنفس، ثم تأمر أعضاء الجسد ومنهم القلب بأن يجتهدوا كي يشعروا بطعم تلك الحياة، وتتنهد وتقول أنا حي.

وأنا حظي من اسمي ومن وظيفتي، فلقد كان والدي مُتيمًا بشخصية رشدي أباظة ولذلك اختار اسمي تيمنًا به، ولكن لم آخذ الاسم فقط بل أصبح مثَلي الأعلى لأكون «دنجوان» العصر الحديث، أما حظي من مهنتي لأن مهنة طبيب التجميل تجعلني ألتقي بنساء عدة، المختلفة البشرة والعين والابتسامة والجسد، ذوات الشخصيات القوية والبريئة، والعفوية والجريئة، وأنا كالفراشة أحلّق على كل الزهور

أستمتع بهن، ثم أرحل وأنا تارك أثرًا يندمون على رحيله، ويتمنون أن أعود لأجلهن مرة أخرى ولم تزُحم منِّي أيُّ زهرة رغبتها، حتى رأيت في أحد المطاعم وأنا أتناول وجبة الغداء زوجة أحد أصدقائي وكانت ترتدي زِيًا فتاكًا أظهر جميع مفاتنها التي غفل عنها صديقي العقيم بكل تأكيد، كانت تجلس تتناول طعامها على بُعد طاولتين مني، نهضت من مكاني وتوجهت نحوها، ووقفت بجانبها وقلت متفاجئًا:

- مفاجأة عظيمة جدًّا.

التفتت نحوي وانفرجت ملامحها سعادة وردت مندهشة:

- دكتور رشدي فعلًا صدفة جميلة جدًّا.

- هي صدفة حلوة جدًّا، فأنا كل يوم أتناول وجبة الغداء هنا في هذا المطعم، وهذا لقربه من عيادتي فهي على بُعد خطوات من هنا، أتعرفين مكانها؟

أردت أن أعرف ما حجم المعلومات التي تعرفها عني، وكانت النتيجة أنها اصطنعت الجهل كما توقعت، فهي من النساء اللاتي يحببن أن يظهرن عدم الاهتمام وهي تستحق ذلك بكل جدارة، فردت بملامح الدهشة:

- غريبة لم أعرف أن عيادتك قريبة من هنا.

دنوت برأسي نحوها والتهمت أنفي عطرها الساحر وأنا أقول مبتسمًا بهدوء:

- أعلم أن سيدة في جمالك لا تحتاج زيارة لطبيب التجميل، ولكن أنا لست أي طبيب، أنا الدكتور رشدي فاروق، ووظيفتي أن أجعلك مثل الشمس أكثر إشراقًا ليس أكثر، شمس لا يستطيع أن ينظر لها إلا من يضحي ويحترق من أجلها.

نظرت إليَّ بعين تشع أنوثة وقالت بدلال:

- ومتى تفتح عيادتك يا دكتور رشدي.

- رشدي يكفي، ولا تقلقي يمكنني فتحها الآن إذا رغبتِ.

ابتسمت وقالت بمكر:

- أرى أنك لا تضيع وقتك.

ابتسمت وأنا أمد يدي لها وأقول هاسمًا وأنا أنظر في عينيها الساحرتين:

- هذه ليست فرصة، بل كنز.

صمتت وهي تنظر لي ولقلادتي السحرية وملامحها تشع سعادة، ثم مددت يدي نحوها واستندت عليها ونهضت وهي ترد في ثناء:

- أتمنى أن تكون ماهرًا في الطب كما أنت في الحديث.

داعبت بأناملي يديها وقلت بثقة:

- لا تقلقي سيدتي، سوف أثبت لكِ أني ماهر في كل شيء.

سارت بجواري حتى وصلت لعيادتي والتي تقع بالطابق الثالث، وبالفعل رأت لافتة باسمي بجوار باب العيادة، ولكني جذبتها من يدها نحو باب الشقة المجاورة لها، وهي صومعتي الحمراء الخاصة، الفرق بين العيادة وتلك الشقة ليس كثيرًا، الاثنتان مناسبان لقضاء علاقتي مع أي سيدة، كل واحدة فيهما مجهزة بكاميرات تصوير خفية لتسجيل إنجازاتي معهن، الفرق أن العيادة تكون للفريسة الجديدة التي أرغب فيها ولا أريدها أن تمنعني عما أنوي عليه ويكون كل شيء برغبتها بعيدًا عن أي عنف، وهذا من خلال عطر خاص تم جلبه من فرنسا يحتوي على هرمون القُبلة وهو المحفِّز السحري الجنسي للنساء، أتعطر به قبل جلستي الطبية مع الفريسة، والتي تقوم مساعدتي نيفين بتحضير كل شيء واختيار الموعد المناسب لذلك، هذا غير أن وجودها يمنح الثقة والأمان الزائف للفريسة، وذلك يبدأ من أول اقترابي منها خلال الجلسة وافتعال حديثي اللين معها وهي ممدَّدة أمامي على السرير الطبي، هذا بالإضافة لملامستي لها ومداعبتي، وبعد محاولات عدة تنجح نسبة

كبيرة منها، وفي النهاية تلين بين يدي ونقوم بجلسة طبية حمراء سريعة، من الممكن أن تتكرر إذا رغبت هي في ذلك، ولكن حينها سوف تكون الجلسة في صومعتي وليست العيادة وبدون نيفين، ومَن معي الآن هي تعرفني جيدًا وتعرف علاقاتي المتعددة من صديقي العقيم زوجها، وهي آتية وراغبة في اكتشاف إنجازاتي دون إهدار للوقت وهذا ما دفعها أن تأتي في المطعم الذي أتناول فيه وجبة الغداء بشكل يكاد يكون يومي، ولكنها تصنعت الصدفة وأنا تصنعت التصديق، ولذلك يجب أن تستحق مكانتها وهي الصومعة مباشرة.

دخلت الصومعة بدلال وهي تتفقد محتوياتها والمعدة خصيصًا لسهراتي ولقاءاتي السرية، حتى ذهبت إلى مكتبتي الصغيرة وأمسكت بكتاب من تأليفي بعنوان «الشفاه هي نصف جمال المرأة» أشارت لي به وهي تتعجب متسائلة فأجابتها:

- نعم أنا مَن قلت هذا، انتظريني وسوف أخبرك عنه.

تركتها وذهبت لغرفة النوم وتعطرت بالعطر المخصوص، ثم خرجت لها بعد أن سكبت كأسين من النبيذ ما إن تناولت منه رشفة حتى دنوت منها وهمست:

- الباب الأول في كتابي يقول...

أخذتها بين ذراعي وقبّلتها قُبلة طويلة انتهت بغرفة النوم لقضاء أفضل إنجازاتي، ولكن لم يعكر صفونا إلا رنين هاتفها برقم صديقي فأمسكت الهاتف بخوف وردت عليه، ومنه علمت أنه يخبرها بسفره المفاجئ إلى لندن الليلة ويجب أن تعد له حقيبة صغيرة للسفر، مما جعلها تنهض من الفراش وترتدي ملابسها وهي تقول لي بدلال:

- يجب أن أذهب الآن، ولكني أنتظرك اليوم بعد الساعة العاشرة كي نكمل كتابك.

- لا تقلقي، هذا كان مجرد المقدمة.

ابتسمت لي وغادرت بعد ارتدت ملابسها وطبعت قُبلة صغيرة على رأسي، وبعد مرور عدة ساعات كنت أقف بالقرب من منزلها في موعدي بالضبط، وقلبي يتراقص من السعادة، عطرت نفسي بعطري الخاص وركنت السيارة بعيدًا قليلًا عن المنزل حتى لا ألفت الانتباه.

نزلت من السيارة وترجلت حتى وصلت إلى الباب، وقبل أن أصل للدَرج الداخلي الصغير الذي يوصلني لباب المنزل، فوجئت بسيارة زوجها تدخل من الباب الرئيسي وتجتاز الحديقة في سرعة وتقف خلفي حتى إنه كاد أن يصدمني.

(المحقق)

ثار أنور غاضبًا ولمع وجه من العرق والحنق الذي بدَّل لون وجه للون الأحمر، وبدأ يسب ويلعن مَن فعل هذا، كرر سؤاله عن هوية فاعلها عدة مرات وكل مرة يزداد غضبًا ويصبح صوته أبشع، حتى قال أحد بهدوء:

- أنا يا أنور.

التفت نحو الصوت ليرى رشدي يشير بإبهام يده نحو صدره معلنًا عن نفسه، فأثار هدوؤه غيظ أنور أكثر الذي حاول محاولتين على النهوض حتى نجح في الثالثة وتوجه نحو رشدي الذي عاد خطوتين للخلف ببطء تحسبًا لاندفاع أنور الثائر حتى وصل له وصرخ فيه:

- لماذا كسرت تلك الزهرية؟

- لم أقصد بكل تأكيد، ثم كيف لي أن أعرف أن بها شيئًا؟

قالها رشدي مدافعًا في هدوء مشيرًا لأنور أن يهدأ بكلتا يديه، ولكن أنور أزاح يده وأجابه بغضب:

- لأنك شريك من الأعلى، وتريد أن تتخلص من الجميع.

رمى رشدي بنظره علينا ثم نظر لأنور وهو يقول بنصف ابتسامة ساخرة:

- لا أنكر حقيقة ما ترمي إليه، ولكن هذا ليس له علاقة بهذا الحادث العارض، ما حدث كان غير مقصود، المهم أن تهدأ الآن، اهدأ...

مطَّ في نطق كلمته الأخيرة وهو يربت على ذراع أنور، والذي دنا بوجهه من وجه رشدي وقال صارخًا والرزاز يتطاير من فمه:

- لا تقول لي اهدأ وأنا قد خسرت ترياقي الذي كان سيجعل في حياتي بقية أيها الغبي، لقد كافأني مَن بالأعلى بمكان أحد الترياقين مباشرة دون أن أقع في فخ الاختيار بين اثنين، هل تعي ما خسرته الآن بسبب ما فعلته يا غبي.

- لا تتفوه معي بهذه...

لم يكمل حديثه فلقد سمع صوت ضربة ما تبعتها صرخة غريبة، نظر الجميع لبعضهما البعض وتأكدوا أنهم ليسوا مصدر هذه الصرخة، التي تبعتها صوت حركة غريبة قادم من البار فتوجه الجميع نحو البار وكنت أنا في مقدمتهم لنتفاجأ بنهوض عزمي أمامنا يزحف على قدميه هاربًا بوجه مصدوم من رؤية جثة جلال بجانبه وأمام ذهول الجميع تملك الصمت منهم، حتى استند عزمي على سطح البار ونهض يلاحق أنفاسه وعرقه يتساقط من كل خلية فيه، كسر

حسن الصمت وسأل في توجس:

- هل يمتلك أحد تفسير لما يحدث؟

نظر الجميع لعزمي مستغربين حتى وجّه طه حديثه لعزمي في جدية:

- ماذا حدث لك يا عزمي؟

أخذ عزمي نفسًا عميقًا وأخرجه بهدوء ثم بدأ حديثه وهو يمسك رأسه:

- لا أعرف، ما أعرفه بالضبط ما إن حقنت الإبرة في ذراعي وشعرت وكأن ماء باردًا يسير بين عروقي حتى سيطرت العتمة على رؤيتي وفقدت اتزاني ولا أذكر شيئًا سوى أني شعرت بقبضة في صدري دفعتني لكي أفيق، وكان لصوت أنور تأثير كبير على أني ما زلت في هذا العالم، ولكن ما إن فتحت عيني ورأيت جثة جلال بجانبي بهذا الشكل وما آلت له من تشنجات في عضلات وجهه وجحوظ عينيه وكأنها تحدق فيَّ، حتى خرجت مني تلك الصرخة والتي على أثرها صدمت رأسي بالحائط الذي كان خلفي. هذا كل ما أذكره.

ما إن أنهى عزمي حديثه حتى سمعنا تصفيقًا من حسن له وهو يرد ساخرًا:

- حيلة جميلة وذكية يا عزمي، لم أظن أبدًا أنك من الممكن أن تصل لهذا المستوى من الذكاء.

- ماذا تقصد يا حسن؟

قالها عزمي مستنكرًا وبدأت ملامح الغضب تجتاح وجهه، حتى أشار له أنور أن يصمت:

- اصمت الآن يا عزمي، أكمل يا حسن وجهة نظرك.

نظر له حسن مستحسنًا ثم أردف:

- كل ما حدث هذا ما هو إلا تمثيلية من بطولة من بالأعلى، وهذا الأستاذ.

وهنا أشار نحو عزمي ثم نظر للجميع بالتتابع بعين صقر حتى أنا أخذت نصيبي من تلك النظرة التي تتوعد الجميع، وعندما انتهى منها أردف:

- ولا أستبعد أن يكون هناك شريك آخر.

ثم أمسك عجلة الكرسي وعاد بها للخلف ببطء وهو يقول بعين جاحظة:

- أو جميعكم شركاء، آه يا ملاعين، تريدون أن تتخلصوا مني؟ لن تفلحوا في ذلك أبدًا، مهما حاولتم لن تنجحوا.

أشار طه بكف يديه لحسن أن يهدأ:

- اهدأ يا حسن ولا تجعل الضغوط التي غرقنا فيها بسبب تلك الليلة الملعونة أن نفكر بشكل خاطئ، إذا أعدنا الأحداث التي حدثت والرسائل التي استلمناها جميعًا حتى الآن، فمن الممكن أن نستنتج منها عدة أشياء، أولها أن من الممكن يكون عزمي أخذ الترياق وليس السم، وما حدث له هو تأثير الترياق وتفاعله مع الجسد مما نتج عنه تلك الأعراض حتى وصلت حد الإغماء في النهاية، وثانيًا أن من يرسل لنا تلك الرسائل صادق في نقطة الاختيار بين قارورتين، ومن الممكن أن يكون أحد الترياقين بينهما، وللأسف جلال كان من نصيبه القارورة التي احتوت على السم وانتهى بهذا المصير، لأن الأعراض التي ظهرت على جلال كانت أسرع ومختلفة عن عزمي.

أشار نحو البار الذي ترقد خلفه جثة جلال، ثم التفت وتحرك نحو الطاولة التي عليها اللغز، وما إن وصل لها حتى أشار نحو المنديل وأردف:

- وثالثًا أن من يرسل لنا تلك الرسائل لحل هذا اللغز ما هو إلا شخص كاذب ويتلاعب بنا، فلقد قال في إحدى رسائله أن هناك قارورتين بهما الترياق، واحدة أخذها عزمي في البداية والثانية في رسالة أنور والتي انكسرت وتبعثرت أرضًا،

واستفاق عزمي المبكر كشفَ لنا خطته، فهو كان يرغب في أن نلعب لعبته الدنيئة تلك حتى النهاية ونحن نلهث بحثًا عن الترياق الباقي الوهمي كي يرضي ساديته، وينتقم منا بشكلٍ من الأشكال.

أشار رشدي نحوه استحسانًا:

- أنا مع استنتاج طه جدًّا لما يحدث، الوضع أصبح مريبًا ومربكًا، وليس له قاعدة منظمة لكي نتبعها، ألا ترون أننا أصبحنا لعبة في يـــ...

قاطع حديثه رنين رسالة قادم من هاتف طه، فنظر الجميع نحوه وهو يفتح الرسالة.

- لقد فاز معنا صديقي الغالي طه بالمركز الرابع في هذه اللعبة اللعينة.

قالها رشدي ساخرًا بأسلوب مسرحي فبادله طه بابتسامة صغيرة ساخرة ثم بدأ في قراءة نص الرسالة وكانت تقول:

- 6 أفقي «السم الذي استخدمه هتلر في انتحاره» (الثلج الأحمر).

- السيانيد.

قالها آنور بفخر وسرعة، وكأنه التلميذ الذي يسابق زملاءه

في الفصل في قذف إجابات أسئلة المعلّم عليهم، فيكافأ بنظرات الانبهار والغيظ منهم، ثم أردف:

- أعلم أن تلك المعلومة لم يثبت صحتها بشكل كامل ولكنها الشهيرة عن تلك الواقعة.

- لم أكن أعلم أنك تهتم بتلك الأمور.

قالها عزمي مستغربًا فأجابه أنور بشيءٍ من الحزن:

- أنتم لا تعرفون عني شيئًا يا عزمي، ولكن لكي أُرضي فضولك أنا أحب مشاهدة الأفلام الوثائقية فهي تتميز بأن يمكنني اللعب مع قطتي والأكل والنوم أمامها دون الشعور بالندم لحرق النهاية أو خسارة أحداث تقلب موازين الفيلم.

تنبهت لأمر القطة التي ذكرها في وسط كلامه، ومن الممكن أن تعود الخدوش التي في معصمه لها، نظرت له فوجدته قد رسم ابتسامة جانبية زائفة وأردف:

- الفيلم الوثائقي يشبه حياتي بشكل يخيفني أحيانًا، أحداث كثيرة تمر أمامك وصوتًا كسولًا يعلق عليها برتابة، صوتًا بلا إحساس مَشاهد الفرح تمر أمامه مثل مَشاهد الموت، فلا تسمع في نبرته فارقًا، عينك ترى المَشاهد بواقعية مؤلمة، مَشاهد الأبيض والأسوَدُ فيها أصدق من الألوان، تلك حياتي التي لن ولم تهمكم على الإطلاق.

قالها ولمعت عيناه بدمعة هاربة سبقها ومسحها سريعًا بيده وهو يقول ساخرًا:

- لم أعرف من قبل أن الجوع سوف يحوّلني لفيلسوف بتلك السرعة.

ابتسم عزمي له وربّت على كتفه، ثم توجَّه نحو المنديل الذي كتب عليه اللغز سائلًا وهو يجلس على المقعد:

- إلى أين وصلتم في غيابي؟

- انظر بنفسك.

كان هذا ردّ حسن الجاف عليه، ولكن لم ينظر له عزمي ونظر للغز وعد المربعات الفارغة التي تخصه ثم وجَّه حديثه لأنور:

- إجابتك صحيحة يا أنور، ولكن بدون ال التعريف.

أومأ أنور متفهمًا وبدأ عزمي في كتابة حروف الحل بدون ال التعريف لتكون (س-ي-ا-ن-ي-د)، وقبل أن ينهي عزمي كتابتهم سمع ضحكات طه المتصاعدة وهذا ما لفت نظر الجميع فسألته ساخرًا:

- هل قصتك مضحكة لهذا الشكل؟

نظر لي وقال مستخفًا بسؤالي:

- لا أظن أنها سوف تكون قصة مضحكة على الإطلاق، ولكني ضحكت لسخرية القدر وغباء بطلة القصة.

تقدَّم نحوي وقال بجدية وهو ينظر في عيني:

- برغم أني غير مُلزم أن أروي أي قصة خاصة وأفشي أكبر سر في حياتي أمامك، ولكني سوف أقولها، حتى لا يحرقها هذا المعتوه في رسالة صغيرة، سأفعلها ليس طمعًا في الترياق لأني متأكد أن القارورة القادمة ما هي إلا سم، سُم سوف يجعلني ألحق بجلال ليس إلا.

ثم تحرك بخطوات بطيئة نحو عزمي وأردف:

- وهذا بدليل أن عزمي كان سعيد الحظ لدرجة أن عندما وضع أمامه قارورتين أختار منهما القارورة التي بها الترياق، والترياق الثاني يروي أرضية المنزل الآن، خلاصة الحديث أن خطة المعتوه فشلت، وهذا يجعلنا ننهي تلك اللعبة بطريقتنا، وما سأقوله لا يمكن أن يُستخدَم ضدي مهما كان، ولذلك سوف أقوله وأنتظر مصيري ونهاية تلك اللعنة.

تقدَّم نحوي مرة أخرى وقال في سخرية:

- هل تسمح لي بإشعال سيجارتي الأخيرة يا حضرة

الضابط.

أومأت برأسي موافقًا على مضض، وبالفعل أشعل سيجارته وأخذ نفسًا عميقًا منها وحتى شعرت أنه أحرق نصها على الأقل، وأخرج زفيرًا مليئًا بالدخان أخفى وجهه عدة لحظات حتى بدأ حديثه مرة أخرى:

- كنت مسؤولًا عن رعاية أحد رجال الأعمال، وكانت حالته غير مستقرة بعض الشيء، وبسبب أزماته المتكررة طلب أن تكون رعايته بمنزله وليس بالمستشفى حتى يدير أعماله بحُرية دون تعقيدات وقيود المستشفى في الزيارة، ولذلك أمرت بتهيئة غرفة نومه لتكون بمثابة غرفة طبية بناءً على رغبته، وكنت أتابع حالته بنفسي بشكل يومي، وترافقه ممرضة خاصة من اختياري، وفي يوم جاءته أزمة شديدة بعض الشيء اتفقت مع الممرضة أن أشارك معها المناوبة المسائية، وبالفعل رحلت في نهاية اليوم وأكملت أنا رعايتي له، حتى بعد الفجر بساعة فاجأتني زوجته بالدخول علي ومحاولة إغرائي بشكل ما، وطلبت مني بدلال ماكرة خبيرة أن أستريح الساعتين الباقيتين في الغرفة المقابلة حتى تأتي الممرضة، أما هي فسوف تتابع حالة زوجها بدلًا عني تلك الفترة.

انفرجت شفتاه بابتسامة صغيرة ثم أومأ برأسه متذكرًا

حتى أردف:

- انصعت لأمرها وتركتها ودخلت الغرفة المقابلة، ولكن راودني الشك قليلًا فذهبت إلى الشرفة التي تصل بين الغرفتين لمراقبتها من النافذة دون أن تلاحظني، وما توقعته حدث، وجدتها تحقن زوجها بشيء غريب، فأخرجت هاتفي وصورتها حتى انتهت ودخلت وهددتها به.

نظر لنا وكأنه يستمتع بحماسنا لسماع باقي قصته فأكمل بثقة:

- ولكن حينها جاءتني فكرة عظيمة أن أكمل معها تلك الجريمة وأطمس أي دليل ضدها، وكأنها وفاة طبيعية وفي المقابل تكتب لي شيكًا بمبلغ كبير يعادل نصف الثروة التي سوف تحصل عليها، ما إن وافقت حتى مارسنا الحب على فراش زوجها وهو يرقد بجانبنا يحارب عزرائيل، والمفاجأة أنه أفاق ونحن معًا وهي لم تلاحظ هذا وتوفى في لحظتها بعين متسعة تنظر نحونا، وعندما فحصت جثته وجدت أنه توفى ولكن ليس بسبب السم بل من أثر صدمة قلبية شديدة مما رآه بجانبه على الفراش، توفى قبل أن يصل السم للقلب ويظهر عليه أعراض التسمم، وبالطبع لم أخبرها بتلك الحقيقة فهي لن تعرف الفرق بين الموت بالسم والسكتة القلبية، لأن في النهاية هو توفى أمامها وهي تظن أنها السبب

في ذلك، وعندما جاء طبيب الصحة طلبت منها الانتظار بالخارج، وبالطبع لم يكذب الطبيب في تقريره أنه توفى بسبب سكتة قلبية، ولكن عندما خرج ورأت التقرير أخبرتها أني قمت برشوة الطبيب لفعل ذلك، وطيلة تلك الفترة جعلتها تظن أنها هي من قتلته حتى أبقى كطوق فوق رقبتها لن ينحل عنها أبدًا.

ضحك حتى أغلقت عينيه وظهر بلعومه من انفراج فمه ثم أردف:

- المضحك في الأمر أنها غبية جدًّا، فلقد حقنته بسم السيانيد أشهر سُمّ عرفته البشرية، وكان من السهل التعرف على سبب الوفاة في أول ساعة تشريح للجثة إذا توفى بسببه، أو على الأقل سوف ينتابني الشك في أعراض موته بصفتي طبيبه الخاص والذي على بُعد مترين من غرفته، فطبيعي كنت سوف أكتشف الأمر، أليس مضحكًا غباؤها.

أكمل ضحكه مستمتعًا بقصته منفردًا وسط ذهولنا واستغرابنا منه، ولكن ما زاد من صوت قهقهة ضحكه استلامه لرسالة من الثلج الأحمر، وقال في سخرية بعد أن قرأها:

- المعتوه الأحمر هذا يكافئني بهديته الوهمية ويخبرني أن هناك قارورتين خلف تلك اللوحة ليعيد تفعيل بيننا مبدأ

الاختيار مرة أخرى.

أشار إلى لوحة راقصة الفلامنكو الشهيرة والتي كانت معلَّقة على الحائط الأكبر الذي يقع خلف الأريكة الرئيسية، ثم أكمل:

- وبالطبع يريدني أن أقف أمامهم مرتبكًا تغمرني الحيرة في الاختيار بين الاثنين، وأيًّا كان الاختيار فسوف يكون الموت السريع هو النهاية.

نظر لأعلى وقال باستهزاء ملحوظ:

- آسف أيها... يا من بالأعلى أو كما تسمي نفسك الكلب الأحمر.

ضحك ساخرًا ثم أكمل:

- أقصد الثلج الأحمر، أعذرني لم يحالفك الحظ معي، فأنا لا أريد أن أموت بطريقتك السريعة، أفضّل أن أموت ببطء بعد أذنك.

ثم صفق وقال بنبرة يملئها الحماس:

- هيَّا .. هيَّا أكمل لعبتك اللعينة واختَر الفائز برقم خمسة في تلك الجولة، نريد أن ننهي استمتاعك بنا سريعًا، فيجب أن تنتهي متعتك بنفس سرعة الموت الذي فرضته علينا.

أنهى حديثه وصمت، وصمت الجميع بعدها لحظات حتى استقبل الجميع رسالة كان نَصُّها:

«اشهدوا أنه سوف يتمنى أن يموت قبل أن تبدأ الجولة الأخيرة من اللعبة، ولكنه يستحق أن يعيش تلك اللحظات... نادمًا (الثلج الأحمر)».

نظرنا لطه الذي حاول أن يخفي ارتباكه بغضبه وصياحه:

- إذا كان هذا تهديدًا، فلا يوجد خوف بعد الموت، افعل ما تريده.

التفتَ نحو النافذة ليخفي شعوره الحقيقي أمامنا، نظر حسن ورشدي الباقيان، لهواتفهما منتظرين وصول الرسالة لأي أحدٍ منهما، وأنا وأنور نراقب الاثنين، وبعد لحظات من الصمت كسرتها حركة رشدي الغريبة في المكان وتوتره الملحوظ، حتى نطق منفعلًا:

- أنا سئمت كثيرًا مما يحدث، لا أطيق الانتظار هنا، أرجوك حضرة الضابط أبلغ الشرطة تأتي كي تنتهي تلك الليلة بأي شكل، لا داعي لكي نظل تحت رحمة هذا المعتوه.

كان تصرفًا غريبًا أثار حفيظة الجميع حتى قال له طه مربتًا على كتفه:

- ما بك يا صديقي، اهدأ قليلًا لقد أوشكت الليلة على الانتهاء.

نظر له رشدي محدقًا دون أن يجيبه، فصاح فيه أنور:

- نحن في غنى عن هذا الدلع الزائد والدلال المفرط، نحن لن نتحايل عليك أيها المخنث.

- المخنث هو من لم يعرف كيف يعاشر الأنثى أم أنك نسيت أنك تمتلك شيئًا أسفل شحوم بطنك التي حجبت عنك رؤيته، وفقدت الأمل أنه موجود من الأساس أيها العجوز البدين.

كان وَقْع كلمات رشدي على أنور كبيرًا، وظلَّ ينظر له بحقد حتى تدخل طه ناصحًا:

- هذا حديث ليس منه أي فائدة لنا، يكفينا ما نحن فيه.

قال أنور موجهًا الحديث لطه:

- طه، أبعِد صديقك عني حتى تنتهي تلك الليلة وهذا إنذاري الأخير.

- إنذار أخير لماذا هل سوف تنفجر في النهاية.

قالها رشدي ساخر ومستخفًا بأنور الذي رفع يديه ليمنحه لكمة قوية، ولكن كانت يدي تمنعه من هذا الفعل قابضًا على

معصم يده، وقلت محذرًا:

- لا أريد شِجارًا هنا فيلزم كل واحد فيكم بمكانه المحدد من قبل حتى يمر الوقت المتبقي، وحتى هذه اللحظة لا تقتربوا من بعض ويبقى فقط بجوار اللغز عزمي يدوِّن الحروف في المربعات.

قلتها وأنا ألتفت نحو عزمي والذي كان يجلس بجوار اللغز على كرسي التحقيق، والغريب أنه لم يشارك فيما مرَّ من أحداث. ما إن وصلت له حتى تفاجأت بنزيف غزير من أنفه وفمه وهو مغمض العينين، وجسد بالٍ لا يتحرك، رأي الجميع صدمتي فسألني حسن بتوجس:

- ماذا؟ ماذا حدث لعزمي حضرة الضابط؟

- عزمي مات والنزيف يجتاح جسده مصدره أنفه وفمه.

قلتها وقلبي غير مطمئن لما وصلت له تلك الليلة الغريبة، لا أعرف أين الحقيقة من الكذب؟ الجميع هنا يستحقون الموت ألف مرة، وأتمنى أن تكفيهم.

«لا تثق في حُكم قاضٍ كان يعمل جلادًا، فعينه تعودت على جروح المُذنب، وليس على ابتسامة البريء».

الفقرة السادسة

أذكى الأغبياء

(حسن راتب)

أقف أمام معطفي الطبي الأبيض هذا ويملأني إحساس بالسخرية منه، فكم خدع هذا الرداء الكثير من الأغبياء وسيظل يخدعهم، وكما يقولون إن النصاب يعيش على ظهر الطامعين في المال أو السلطة أو شيء بلا مجهود، فهذا الرداء يعيش على ظهر الطامعين في الحياة أو المصابين بفوبيا الموت، والتي تسيطر على معظم البشر، وهنا يأتي دوري حتى أُرضي رغباتهم في التمسك الهزلي بتلك الحياة، يتمسكون في معطفي الأبيض ويُسحَلون خلفي من أجل إخماد شهواتهم في الحياة، وأنا ألبّي هذا في سعادة ونشوة عارمة، أوهمهم بمحاولاتي المستميتة في مساعدة المريض وأتأسف على تصلبي أمام نزيف جيوبهم من أموال، كم أعشق هذا الرداء الملائكي، فجأة سمعت طَرقًا على باب مكتبي:

- ادخل.

- صباح الخير على الدكتور حسن راتب، أعظم مدير

مستشفى.

- خاص في (middle East).

ابتسمت لخدعته المكشوفة وسألته:

- هل ستظل تحاول في خداع أبيك بحيلك المكشوفة تلك؟ أعلم أنك ترغب في شيء عندما تستخدم تلك الطريقة معي.

- كم أنت ماكر يا أبي!

تصنعت الصرامة في ردي:

- عيبٌ عليك أن تحدث والدك هكذا، أخبرني ما الشيء الذي جعلك تأتي خلفي إلى هنا بالمستشفى ولم تنتظر عودتي للمنزل ليلًا.

- تعثرت هذا الشهر في سداد بعض المبالغ، وأريدك أن تحوِّل لي مبلغًا على حسابي، وأقسم لك سوف أرده قريبًا جدًّا.

صمتُّ قليلًا مفكرًا ثم عاتبته:

- تعثرت مرة أخرى يا أحمد هذا ثالث شهر على التوالي تتعثر شركتك فيه.

- يا أبي، أنت تعلم أزمة السوق هذه الأيام والوضع

الاقتصادي الذي أصبح في تدهور مستمر.

قدمت نحوه وربّت على كتفه وقلت في حنو:

- أحمد، إذا كان مجال التصميمات الهندسية لست بارعًا فيه، أغلِق شركتك الآن وسوف أسدّد ديونك لا تقلق، ثم ابحث عن شيء آخر يمكنك أن تنجح فيه، يمكنك حتى أن تأتي هنا وتدير معي المستشفى، وسوف أقنع مجلس الإدارة بك.

ردَّ بتذمر:

- أبي، أنا لست فاشلًا وأنا دخلت كلية الهندسة لأني أحبها والتصميمات والاستشارات الهندسية هو مجال عملي ولن يتغير.

ثم أكمل وقد عَقد حاجبيه:

- أخبرني إذا لم تساعدني وسوف أدبر أمري حتى لو قررت أن أذهب لأي بنك وأطلب قرضًا، لا تقلق سوف أنجح في ذلك.

أمسكت وجهه بين راحة يدي، وقلت له مبتسمًا:

- أنت الذي لا تقلق يا بني، سوف أسحب مبلغًا محترمًا ويتم إيداعه باسم شركتك بالبنك، وحينها سوف تستطيع أن

تتابع إدارة شركتك فترة طويلة بدون أن تقلق.

ارتمى بين ذراعي وقبَّل رأسي وقال بوجه بشوش:

- أنت أفضل أب بالعالم.

ضحكت وقبلت رأسه وانصرف أمامي وهو يسير بخطوات تتراقص من السعادة، أمسكت هاتف المكتب واتصلت بـ (غنيم) مدير الحسابات قائلًا له بجدية:

- مرحبًا يا غنيم، أريدك أن تحوِّل مليون جنيه لحساب شركة ابني، حسابي؟! لا بالطبع من حساب المستشفى بالتأكيد، سوف نفعل كما فعلنا من قبل، المهم أن تكون الملفات والحسابات سليمة ونظيفة أمام المستثمرين وباقي مجلس الإدارة في نهاية السنة المالية، صحيح لا تنسَ عمولتك، أعلم أنك من الممكن أن تنسى اسمك ولا تنسَ عمولتك، ولكن أحب أن أذكرها لك لتعي جيدًا أنك شريك معي ليس أكثر، تمام أنجز ما أخبرتك به وطمني.

أغلقت الهاتف وذهبت كي أرتدي معطفي الطبي، وانطلقت في جولتي اليومية على الأقسام وغرف المرضى التابعين لي، تلك الزيارة التي تهتز لها المستشفى وتتوتر بسببها قلوب العاملين وأنا على معرفة بكل ما يفعلونه من خلفي، ولكن يجب أن يتذكروا كل حين والآخر أني ما زالت هنا سلطان

هذا المكان، ولكن كان هدفي الأساسي من رحلتي الصغيرة تلك هو حيرتي في أن أُمارس على مريض غرفة 207 دور عزرائيل عليه أم إبليس مع أهله.

وهي غرفة لشاب في أوائل العشرينات من عمره جاء في حادث سيارة كبيرة كانت مسافرة من الإسكندرية إلى القاهرة، لكي ينقل صديقه العريس المنتظر لفرحه في اليوم التالي لهذا اليوم ومعه صديق مشترك بينهم، وكان هو من يقود تلك السيارة والتي اصطدمت في شاحنة نقل كبيرة غفل سائقها على عجلة القيادة ثواني، وعلى أثرها انحرفت الشاحنة وحدث الحادث، توفى على أثره العريس وصديقهما وظلَّ هو في غيبوبة طويلة، ومعظم أعضاء جسده لا تعمل بشكل جيد وبالنسبة لي هو ميت بالفعل، ولكننا نقوم بخدعة ننعش بها عضلة القلب قليلًا فيبقى معلَّقًا بين الحياة والموت، أو كما يطلق عليه موتًا إكلينكيًا، وفي تلك الحالة كان اللعب على أهله كي يتمسكوا في أمل أن يظل جهاز ضربات القلب ينبض أمامهم فهذا أفضل أمانيهم، وعليه كنت أستنفد منهم الأموال مقابل تلك المتعة التي أمنحهم إياها والتي بالتأكيد ليست مجانية، حتى تفاجأت بأن والده يقترب مني مرحبًا بي بكثير من انكسار:

- أهلًا دكتور حسن، هل يمكن أن تتمهل المستشفى في

حساب غرفة ابني عدة أيام فقط حتى أستطيع أن أبيع أرضي في طنطا وأعود لك.

رسمت على ملامح وجهي الضيق، وقلت في نبرة محذرة:

- إنهما يومان فقط، وبعدها إما الدفع أو تنقله لمستشفى أخرى، ولكن حينها سوف توقّع أنه على مسؤوليتك الكاملة وليس على المستشفى أي شيء.

- لا لا لن ننقله من هنا، وأشكرك جدًّا يا دكتور.

غادرت وتوجهت للغرفة المجاورة لغرفة ابنهم ومعي الممرضة المسؤولة عنه، وأمرتها أن تتلاعب قليلًا بجهاز النبضات في أقرب فرصة متاحة حتى تشعر والدته التي تبيت معه بالخطر الوهمي، وتبلغ زوجها أنهم كادوا أن يفقدوا ابنهم لولا عناية التمريض له، وبالتأكيد سوف أجد والده يقف أمام شباك الخزينة يدفع ما عليه ويضع حسابًا إضافيًّا تحت الحساب، ألا يعلمون هؤلاء الملاعين أن لكل شيء مقابل إلا الحياة فلها مقابلان الروح أو المال يجب أن تفقد أحدهما في النهاية حتى تفوز بوهم الحياة، وأنا إبليس الرحمة الذي ينفذ ما يقررون في النهاية.

(المحقق)

لم يكن ما حدث لعزمي شيء هيِّن بل وضع الكثير من التساؤلات أمام الجميع، فلقد عمَّ الصمت بيننا بضع دقائق حتى تفاجأت بأنور يتحرك بخطوات مندفعة غير متزنة بسبب ألم قدميه ومُتجه نحو الأريكة الرئيسية، أمسكت سلاحي، وحاولت أن أشهره نحوه، ولكني تفاجأت بيد طه قد ضربت يدي ليسقط السلاح مني بعيدًا، ثم دفعني بكلتا يديه في صدري فشعرت بقوة ذراعيه برغم كُبر سنّه فلقد أوقعني أرضًا، ورأيته يعبرني ويتقدم مسرعًا نحو أنور الذي أنزل اللوحة المعلَّقة على الحائط خلف الأريكة، حتى يمنعه من الحصول على القارورتين اللتين من المفترض أنهما خلف تلك اللوحة كما أشار طه في رسالته، ورشدي يتابع ما يحدث دون تدخُّل منه، زحفت نحو السلاح الناري حتى أُهدّدهم به وأمنعهم من الشِجار، ولكني فوجئت بأن عجلات كرسي حسن تسبقني وتمرُّ من فوقه حتى وقف وسلاحي أسفل كرسيه ثم نظر لي بابتسامة صفراء ماكرة:

- لا تنشغل بهم، دَعْهم يخلّصون على بعض، أنت الفائز في النهاية، اسمع لكلامي حضرة الضابط، قضية جديدة تضاف لملف تلك الليلة، لا أحد هنا يستحق منك أي تصرفات تتسم بالشجاعة أو الشهامة أو الشفقة، وأظن أن ما كُشفَ ستره

حتى الآن يبرز لك مدى دناءة تلك النفوس، اعقل حضرة الضابط واجعل قانون الغاب يحكم على الضباع.

كنت أنصت له مستغربًا وأنا أتابع شجار أنور وطه عند اللوحة والذي اتضح أن القارورتين ملتصقتان في ظهرها، وكان طه ممسكًا باللوحة من الإطار ويجذبها نحوه، وأنور مُتشبث بالطرف الثاني منها ولم يفلتها، حتى استغل أنور قدوم رشدي لمساعدة صديقه طه وقام بحركة مفاجئة غريبة، وهي أنه حرَّك قبضة يده ليمسك اللوحة من القارورتين بدلًا من الإطار، وعندها سحب طه اللوحة بعنفٍ ليحصل عليها، ولكنه تفاجأ بخداع أنور له ووقع أرضًا، وهنا وجدَ أنور نفسه ممسكًا القارورتين في النهاية وطه يحتضن اللوحة أرضًا ورأسه قد شقّتها وخرجت من وسط اللوحة.

دفعني ما حدث أن أستغل تلك اللحظة التي شتتّت تركيز حسن عني قليلًا، فدفعت كرسيه للخلف حتى ينزاح من فوق سلاحي، أخذته ونظرت له بغضب وتوعُّد، وما إن نهضت حتى وجدت أنور يقذف رشدي بالزهرية الثانية المقابلة والمماثلة للزهرية التي تهشمت من قبل، سقطت الزهرية وتهشمت أمام طه كي تؤخر نهوضه خلفه.

أكمل أنور تقدُّمه للبار بخطوات غير متزنة وشهيق عالٍ ولسان يسبقه، ثم أمسك القارورتين وسحب إبرتين والتفت

نحونا ونظر لنا مستندًا بظهره على البار الذي خلفه ترقد جثة جلال، وكنت قد وصلت له فقال وهو يلهث من فرط المجهود الذي فعله وهو ضد طبيعة جسده بالمرة:

- معنى أن عزمي ماتَ أنه لم يأخذ الترياق بل السم مثل جلال، وأن هناك فرصة كبيرة أن يكون الترياق واحدًا من هاتين القارورتين، وهذا ما وعى له طه وأنا، فاندفعنا نحو اللوحة كي نحصل عليهما، لن يخيفني شيّء بعد الآن وإذا كانت تلك فرصتي الوحيدة في الحياة فسوف آخذها كلها، ولن أخسرها كما خسرت التي سبقتها، ولن أقتسمها مع أحد فلم أعرف أحدًا في حياتي يستحق ذلك، أبعِد سلاحك أيها الضابط لن يمنعني عما أنوي عليه وإذا رغبت في قتلي فلتفعل، لقد أخبرتك لن أخاف من أحدٍ بعد الآن.

نظر أنور إلى طه الذي نهض من سقطته وخلع اللوحة من عليه، ووجَّه الحديث له وهو يحقن نفسه بالإبرة الأولى:

- طه لا تغضب منّي، فأنا لن أُجهد نفسي في الاختيار السادي اللعين هذا، وأخسر فرصة أن يكون الترياق قوي المفعول ويستطيع أن يقلل من تأثير السم، وأعرف أنها أنانية مني وهذا ما تعودت عليه فأنتم لم تعرفوني بحق ولم تكونوا لي أصدقاء البتة، وأنت بالأخص لم تكن صديقًا لي طيلة الأربعين عامًا الماضية ولا ألقاك سوى في طقسنا السنوي

الأسود، فهل تظن أنه من الممكن أن أضحي من أجلك أنت أو من أجل أي أحد آخر هنا، هل تظن إذا كان صديق عمرك رشدي مكاني، هل سوف يمنحه لك؟

ألقى بالإبرة أرضًا بعد أن انتهى منها وأغمض عينيه تألمًا ثم ضحك وهو يحقن نفسه بالإبرة الثانية وأردف:

- سوف تتفاجأ حينها بصديقك، هذا لو كان يستحق تلك الصداقة من الأساس.

أنهى حَقْن نفسه واستند بظهره أكثر على البار وانزلق جسده للأسفل حتى جلس أرضًا، ثم ألقى بالإبرة الثانية أرضًا بجانبه، فتح عينيه واتسعت جحوظًا وهو يفتح فمه ليخرج الدم منها كالبركان الغاضب لا يهدأ إلا وقد أفرغ ما في جوفه، وعلى إثر ذلك تراخت عضلات يديه وانفرجت قدماه ثم سقطت رأسه على كتفه ليعلن موته أمام الجميع.

أصبح المشهد مروعًا لحدٍّ كبيرٍ ودمويًّا، ورائحة الموت في المكان أصبحت تعتصر الأكسجين بين راحة يديها، وكيف يكون المشهد غير ذلك، جثة جلال راقدة على الأرض خلف البار وجثة أنور جالسة أرضًا مستندًا على البار من الجهة الأمامية، وجثة عزمي جالسة على المقعد، وأخيرًا الجثة الأولى التي سبقت الجميع في موتها، ولم يتبقَّ سوى طه ورشدي وحسن، وأنا أقف أحاول أن ألملم شتات كرامتي

التي تبعثرت للمرة الثانية بسبب ما فعله أنور بي وسقوطي أرضًا ثم تلاعب حسن بي وكأنه إبليس عندما يتقاعد، أريد أن أضغط على زِرّ أبيد فيه كل الموجودين هنا، ولن يشفع عندي عمرهم فجميعهم يستحقون الحرق علنًا، ثم أذهب لكي أستريح وأنام نومة تُخرج كَم القاذورات التي لوَّثت عقلي بمعرفة هؤلاء الأطباء المعاتيه الملاعين، قطع شرودي هذا رنين هاتف حسن باستلامه رسالة، فتحها وقرأها ثم نظر لي راسمًا نصف ابتسامة وقال بصوت عالٍ:

- اللغز وصلني وهو «10 رأسي نصف كلمة لصوص، صندوق حفظ الأموال (معكوسة) الثلج الأحمر»

أشار لي حسن وهو يحاول أن يتحرك بالكرسي قائلًا:

- هل يمكن أن أحضر المنديل الذي ندوِّن فيه حل اللغز وأكمله على قدمي حتى ننهي حل اللغز المطلوب منَّا، لأن فكرة أن نكمله وهو بجوار جثة عزمي أمرٌ صعبٌ للغاية.

أومأت له بالإيجاب وتحركت معه بخطوات عكسية وأنا أراقب طه ورشدي، وما إن وصل للكرسي الذي ترقد عليه جثة عزمي هلعَ وصُدمَ، وكان من حُسن حظنا أن الدم لم يصل للمنديل ويلوثه، مما دفعني لكي أتركه يأخذه معه وعاد مكانه، ثم وضع المنديل على قدميه وبدأ في عد الحروف، لحظات من الصمت ثم تبعها ضحكات متقطعة متصاعدة وما

إن انتهى حتى قال بكثير من الفخر والثقة والسعادة:

- من الحلول السابقة يمكنك التنبؤ بحل اللغز الحالي، نصف كلمة لصوص من حرفين في وجود حرف ص سابقًا ليؤكد أنها لص، ومن الحروف المتوفرة في باقي المربعات يصبح حل النصف الثاني من اللغز كلمة الخزينة معكوسة أي تكون (ة، ن، ي، ز، خ، ل، ا)، لص الخزينة.

قالها ببطء وهو يرسم ابتسامة صغيرة ساخرة ثم أضاف قائلًا:

- أرى أن ما استطاع أن يصل له في حياتي من أسرار ليس بشيء كبير.

نظر لأعلى وأردف:

- اعذرني يا صديقي، فأنا حريصٌ بعض الشيء، وما تريدني أن أحكيه ليس بالسر العظيم في حياتي بل هناك أسرار أعظم ما زلت أخفيها.

أومأ برأسه بعدم الرضا وأكمل بنبرة ساخرة:

- إذا كان هذا ما ترغب فيه، لك هذا كما تريد، السر وراء عبارة لص الخزينة ما هو إلا أني أدير حسابات المستشفى بشكل خاص يضمن لي المقابل أمام مجهودي الجبار

في إدارة المستشفى، وكيف جعلت المستشفى من أكبر المستشفيات التي اشتهرت بامتلاكها أفضل الأجهزة التي تحافظ على حياة المريض من خلال تجربة كل الحلول الممكنة لإطالة عمر المريض، وأنا كنت المشرف والمسؤول على تفعيل هذه المنظومة وبالتأكيد ينسب لي نجاحها، وأمام كل هذا النجاح كان يجب أن أحصل على عمولتي عن كل حالة أقنع المسؤولين عنها أن ما زال هناك أملًا حتى ينفذ ما يملكونه أو تخدعني الحالة وتهرب مني خلف عزرائيل على بُراقه.

صمتَ وهو ينظر لنا مبتسمًا ثم أردف:

- هذا الجزء من القصة هو ما يخص اللغز، أما باقي القصة فهو الأمتع والذي للأسف لم يعرفه هذا المحتال.

قالها وهو يشير لأعلى ثم أردف:

- حتى جاء يوم حالة لشابٍ أصيب في حادثة سيارة وتوفى من كان معه في السيارة وظلَّ هو حي بجسد متهالك وروح غافلة، أقنعت والديه بأن يظل على أجهزة الإعاشة في انتظار التحسن الذي لن يأتي أبدًا في مثل حالة ابنهما، حتى جاء اليوم الذي أفضله وهو عندما يبدآن في سؤال هل يمكن نقله لمستشفى أخرى والتحجج بتكاليف المستشفى المبالغ فيها، وهنا يأتي دور ساديتي المحببة فأخبرهم بأن فكرة نقله

هي مثابة الحكم عليه بالموت، ولكن إذا رغبوا في هذا فأنا أُخلي مسؤوليتي وأن يكون هذا على مسؤوليتهم الخاصة، الأغلبية منهم يخضعون ويدبرون المبلغ، وأنا ليس دوري أن أعرف كيف أو من أين المهم أن تمتلئ الخزينة بالمال وبالتالي يمتلئ حسابي، ولكي أعجل بعملية تدبير المبلغ أعطي أمرًا للممرضة المسؤولة عن الحالة أن تتلاعب قليلًا في أجهزة المريض مما يُشعِر الوالدين بخطورة تأخرهم، وأثناء تكليفي للممرضة بتلك المهمة بالغرفة المجاورة لغرفة ابنه والتي كانت خالية من المرضى، فوجئت حينها بدخول الأب عليَّ وكان قد أنصت لما قلته فصاح فيَّ غاضبًا وقبل أن يفعل شيئًا دفعته نحو الفراش الذي كان بجواره وطلبت من الممرضة غلق الباب ثم وضعت الوسادة على وجهه ولم أتركها حتى فارق الحياة.

كان يصف هذه الكلمات بكل حواسه وكأنه سعيد به، يداه وملامح وجهه وعروق رقبته وجحوظ عينيه كانوا يؤدون دورهم بشكل مرعب وأردف قائلًا:

- وهددت الممرضة التي كانت ترتعش بجانبي إذا أخبرت أحدًا فسوف أتهمها هي بالجريمة ولن يصدقها أحد، وبالفعل وضعت الأب على الفراش وأمرت الممرضة أن تنفذ ما أمرتها به، دخلت الغرفة وبدأت أن تتلاعب فقط بالاجهزة وتعيدها

مرة أخرى، ولكن شرودها وصدمتها النفسية سيطروا على حالتها حتى مات المريض منها، فشهقت فزعًا وانتبهت الأم التي كانت نائمة بجانبه وصرخت هي الأخرى لعلمها بوفاة أبنها، وهنا دخلت في عمل محاولات فاشلة لإنقاذ ابنها، حتى توقفت وأبلغتها بأن يجب أن تتقبل قَدَر الله، وبسبب سوء حالتها سوف أخبر أنا والده، غِبت عنها عدة دقائق وعدت راسمًا وجهًا حزينًا وأخبرتها آسفًا أن زوجها توفى بعدما أخبره بخبر الوفاة للأسف لم يتحمل.

فاجأنا وجهه الذي اكتسب اللون الأحمر من كتم أنفاسه ثم انفجر ضاحكًا أمام استغراب طه ورشدي وأنا بالتأكيد من هذا الفعل الغريب وانتظرنا حتى انتهى من قهقهته وأردف وهي يلملم أنفاسه بين صدره من أثر الضحك:

- سخرية القدر هنا كانت في أعلى مراحلها، إن الأم لم تتحمل خبر خسارة زوجها وابنها في ساعة واحدة وماتت هي الأخرى وسقطت أسفل قدمي، هل تتخيلون هذا؟

ظهرت علينا علامات الصدمة فلم أتخيل قسوة قلب هذا اللعين، عم الصمت لحظات حتى تفاجأنا برنين هاتف رشدي معلنًا استلامه للرسالة فبدا عليه التوتر فتوجه نحوه طه متسائلًا:

- هل قصتك مخيفة لهذا الحد؟

نظر رشدي له وتمالك نفسه، وعاد متصنعًا الصلابة وردَّ بغرور كعادته:

- لا شيء يخيف رشدي يا طه، الرسالة نصُّها:

5 أفقي «آخر من طعن يوليوس قيصر، فِعْل أمر من كلمة يكون» الثلج الأحمر.

نظرت لرشدي ومثلي فعل الجميع وقلت له متسائلًا:

- هل قصَّتُك سوف تكون أبشع مما سبقوك فلا يبقى سواك؟

لم ينَل سؤالي إعجابه وبان غضب ملامحه وهو ضاغط على شفتيه، فسأله طه مستغربًا:

- ولمَ كل هذا؟ لا تقلق، نحن أصدقاء منذ زمن ولن يسترك غيري، السر هنا مكانه هنا فلا يوجد أجهزة تنصت وتسجيل لنا، وإذا فرضنا وجودها لابتزازنا في النهاية مثلًا، فهي ليست قانونية ويمكن الطعن فيها بسهولة كدليل ضدنا، ونقول إننا اضطررنا لاختلاق أي قصة حتى نرضي هذا المجرم المعتوه السادي، أرأيت الأمر بسيط.

أشار له بسبابته ناصحًا وأردف:

- لا تقلق وقل ما عندك، أنا أعرفك جيدًا يا صديقي ومتأكد

أن سر حياتك لن يكون أبشع من قصص من سبقوك في تلك اللعبة، قل واطمئن يا صديقي.

نظر له رشدي مبتسمًا بعين ملؤها الثقة وقال:

- ما جعلني مصدومًا هو أني عرفت حل الجزء الأول من هذا اللغز، وهو المقولة المأخوذة من العمل المسرحي الشهير كليوباترا عندما طوَّق جميع أعضاء البرلمان الروماني على الحاكم يوليوس قيصر وطعنوه جميعًا، ولكن كان صدمته في آخِر مَن طعنه وهو صديقه بروتس فقال جملته الشهيرة «حتى أنت يا بروتس» إذًا حروف اللغز الأول هي (ب، ر، و، ت، س).

بدأ حسن في كتابة الحروف التي ذكرها رشدي وهو ينطق الحرف تلو الحرف حتى أضاف بثقة:

- وبالتالي فعل أمر من كلمة يكون هو كُن، وحروفها (ك، ن) لقد أنجزنا الكثير من حل اللغز، الباقي يحتاج التركيز وتوقع باقي الحروف الناقصة، ولكن هناك كلمات سوف ننتظر اللغز فيها ليؤكد توقعنا أو يصححه، كما قال عزمي في البداية، لقد ساعدنا شرحه لنا كثيرًا بالفعل.

ردَّ عليه طه بكثير من النفور والغضب:

- ما زلت أشك فيك يا حسن بسبب أنك تستطيع أن تفكر

بهذه الطريقة الباردة، وكأنك جالس على البحر في الساحل، وليس حولك أربع جثث واحتمال أن يزيدوا أكثر من أن يثبتوا على هذا العدد، أنت مستفزًا جدًا يا حسن، أليس كذلك يا رشدي؟

قالها ونظر لرشدي الذي كان شاردًا لم ينتبه له، فنادى عليه عدة مرات حتى قطع شروده ونطق كلماته ببطء:

- كُن بروتس.

- ماذا؟

قالها طه مستغربًا فأجابه:

- حل اللغز عبارة «كُن بروتس» مَن صمَّم هذه اللعبة لا يمكن أن يكون بشريًا، تلك العبارة قيلت لي ولم يكن أحد معي سوى صاحبة تلك العبارة.

- ماذا تقصد؟ أخبرني أكثر؟

قالها طه فنظر له رشدي لحظات ثم عاد بشيء من الثقة في الحديث:

- منذ بداية تلك اللعبة وكل الألغاز تأتي من سرٍّ في حياة فردًا منا ولكن من الممكن أن يعلم به أحد، في قصة جلال هناك خاله العمدة ومَن ساعده في العملية بالتأكيد فهو لن

يقوم بها منفردًا، وفي قصة أنور فكان في مقهى المستشفى وهناك أكثر من فرد قد يعلم بتلك الواقعة، صحيح؟

نظر له طه وكأنه يقول له أكمل، وكنت أنا وحسن نفكر في تلك النظرية وننتظر أن يكملها فأومأ حسن برأسه إيجابًا وأنا مثله، فأردف بثقة بعين تنير:

- إلا قصتي أنا وطه وعزمي وحسن؛ لأن أحداثها حدثت بين صاحب القصة وشخص واحد آخر دون أن يكون هناك طرف ثالث فكيف لمن يلعب معنا تلك اللعبة أن يعرف أسرار مثل هذه، إما أن يكون الطرف الثاني في القصة وهذا مستحيل، أو يكون صاحب القصة هو من أفشى سر حياته وهذا بالتأكيد مستحيل أكثر.

- لا أفهم ما ترمي له يا رشدي أرجو التوضيح أكثر؟

قالها طه وعلامات الاستفهام تجتاح ملامحه فأجابه رشدي بشيء من الثقة:

- لا يوجد طرف ثالث يستطيع فعل أشياء مثل هذه، ويعرف تلك الأسرار إلا إذا كان جنيًّا.

- جنيّ؟

قالها حسن ساخرًا وضحك قليلًا وأنا أفكر في وجهة نظره

وأتذكر الرسومات الغريبة والأرقام التي رأيتها على الجثة الأولى والتي تشبه الرسومات السحرية التي تأتي في أفلام الرعب، والتي لم يكن لها تفسير عندي حينها، ولكن هل ما يحدث هذا بسبب أعمال سحرية وما شابه ذلك، أنهى حسن قهقهته وقال وهو ينظر باحتقار إلى رشدي:

- جني؟ ما هذا الخَرف؟ هل أنت طبيبٌ بحق؟ هل هناك طبيب مثلك يجهل حجم التكنولوجيا والتطور الذي أصبحنا فيها هذه الأيام؟ الأفعال التي كان يظن البعض قديمًا أنها من أفعال الجن والعفاريت وهذا الكلام الفارغ، أصبحت التكنولوجيا تفعله الآن بكل بساطة وسرعة تذهل العقول وهذا هو السحر الحقيقي.

نظر له رشدي مستهينًا بحديثه وقال:

- إذًا ماذا تظن أيها الخبير التكنولوجي القادم من المستقبل؟

تنهد حسن وهو ينظر نحو البار ثم أجابه بشيء من الثقة:

- من كان يستطيع الإجابة على هذا السؤال يرقد هناك.

أشار نحو البار ثم أردف في شيء من الأسى:

- جلال كان بالنسبة لي المرجع التكنولوجي كان متابعًا

جيدًا لكل التطورات ليس مقتصرًا على ما يخص مجالنا الطبي فقط، أظن أنه حدَّثني ذات مرة عن الحرب السبرانية وهي حروب المستقبل والتي تتحكم فيها أجهزة تجسس وقرصنة على أعلى مستوى، وما تحسبه سرًا ففي عالمهم ليس كذلك البتة.

قاطعه رشدي بتهجم:

- أخبرنا ماذا تقصد بدون مقدمة الدراسات العليا التي تشرف عليها.

قالها وهو يشير له بحركة احتكاك إبهامه مع سبابته والتي تعني المال، ومِن نظرات حسن الغاضبة فهمت أنه يلمح له بشيء يخص المال والدراسات العليا، وهذا ما أكَّده رشدي عندما أكمل بنبرة يملؤها الاستهزاء:

- الدراسات العليا يا دكتور حسن، لقد ارتفعت أسعارها هذه أيام بشيءٍ جنوني، وأظن أن بعضها يدفع بالدولار أحيانًا أليس كذلك يا دكتور.

ازداد غضب حسن أمام أسلوب تهديد رشدي الساخر فقال بحنق محذرًا:

- لا تدنس سمعتي النظيفة بلسانك النجس هذا، إياك أن تكررها.

- كفى.

صاح طه متذمرًا فيهم مما وصل به الحديث وقال بهدوء وصرامة:

- لا نملك رفاهية إهدار الوقت في تلك التفاهات، دعونا نعد للنقطة المهمة أن ما رميت له أن من يدير تلك اللعبة ويستطيع أن يعرف كل تلك الأسرار، هو ليس سحرًا قديمًا بل سحر هذا العصر وهو القرصنة الإلكترونية وما شابه ذلك من أعمال؟

أجابه حسن مؤكدًا:

- نعم هذا ما أقصده من الممكن يكون هاتفك أو هواتفنا جميعًا مخترقة وهناك من يراقبنا منذ فترة ليست بالقصيرة، حتى وصل لمبتغاه ودبر تلك المكيدة لنا.

- كيف تريد أن نصدق هذا الكلام؟ وأنت صاحب الحفل، وأنت من حدد موعده ومكانه ودعوتنا له.

قالها رشدي مستنكرًا حتى نظر له حسن وردَّ مستهزءًا:

- لم أرَ في ذكائك حقًا، من يستطيع أن يصل لكل تلك الأسرار، هل سوف يكون عسيرًا عليه أن يعرف أني أُخطط لإقامة حفل ومَن المدعوون فيه وباقي تلك التفاصيل.

استطاع حسن بدهاء أن يستعيد زمام قيادة المجموعة مرة أخرى من خلال هذا الحديث، لذلك شعرت أن جاء دوري للسؤال الأهم في هذا الحديث فقلت موجهًا سؤالي له:

- ومن تظن أن يقوم بكل هذا المجهود والخطة المتقنة للانتقام منكم؟

نظر لي حسن برأس مائلة وعين تنظر من الأسفل في خبث، ثم أبرز شفاهه ورفع كتفيه معلنًا عن جهله ثم أردف:

- لا أعرف بالضبط من الممكن أن يكون من يظن أنه الضحية في القصص التي رويت حتى الآن أو جميع الضحايا اتفقوا ضدنا أو هناك من يستغلهم ضدنا.

نويت أن أسأله عما يقصد بالضبط، ولكن رن هاتف رشدي باستلام رسالة فقلت له ساخرًا:

- أظن أنه قد جاء موعد من يظن أنه الضحية في قصتك.

لم تنَل مزحتي إعجابه وأجابني بضيق وهو يشير بسبابته لأعلى:

- يأمرنا بالتوقف عن تلك الثرثرة العبثية، وأن أفضح سري دون مماطلة.

ظهرت عليه علامات الضيق والتوتر وبدأ يسرد قصته

وواضح على ملامحه أنه مجبور:

- كما تعلمون عشقي للنساء وكيف أجد متعتي معهن، وفي ليلة ما وعدتني واحدة منهن أننا سنكمل ليلتنا في منزلها لأن زوجها خارج البلاد، مشكلتي أني أعرف زوجها فهو عصبي وغيور جدًّا، وبالفعل ذهبت للمنزل في موعدي، وقبل أن أقرع الباب تفاجأت بعودة زوجها، وعندما سألني عن سبب زيارتي لم أجد سببًا مقنعًا سوى أن تعطلت سيارتي بالقرب من منزله واتصلت بالميكانيكي لكي يأتي لي ولكني قلقت من مكوثي في هذا الخلاء، لذلك قررت أن آتي وأستأذنه في أن أنتظر الميكانيكي بمنزله حتى يأتي للانتهاء من تصليح السيارة، شعرت أنه صدَّق كذبتي وأدخلني منزله وانتظرته حتى نزل ومعه زوجته حتى ترحب بي وخلال ذلك هاتفت حارس العقار طلبت منه أن يأتي لي ويؤدي دور الميكانيكي ويخبرني بأنه غيَّر أي قطعة ما بالسيارة.

بدأ يداعب بيده القلادة التي يرتديها ثم أردف:

- وعندما جاء لزوجها مكالمة استأذن ليرد عليها، حينها اقتربت مني زوجته وقلت لها «زوجك يشك في الجميع وإذا اكتشف أمري سوف يقتلني وهو يقول كعادته في التعصب وبأداء مسرحي مبالغ فيه حتى أنت يا بروتس» ابتسمت زوجته وقالت بثقة وهي تقترب مني»إذًا كُن بروتس» .

ظهرت عليه ملامح الدهشة وبدأ يحك بيديه رقبته وكأنه يشعر بأن هناك شيئًا يخنقه فتحرك نحو مقعد بجوار الباب الرئيسي ثم أردف:

- لم أفهم ما تقصده هي بالضبط، هل تقصد خيانته كما كان مدبرًا معها، أم تريد مني قتله؟ نظراتها كانت ترمي للاحتمال الثاني، حتى تأكدت من ظنوني عندما صارحتني في رغبتها في قتله ونستغل ظروف تلك الليلة والجميع يعلمون أنه مسافر خارج البلاد حتى إن الخدم حملوا حقائب السفر له ورأوه مغادرًا، وأنها غيرت موعد حجز سفره دون أن تخبره؛ فقد كانت على علم تام بعودته، وكانت ترغب في أن تدفعني لقتله قبل أن يكتشف أمري وأقتله ولكن لحسن حظي زوجها جاء مبكرًا قليلًا لينقذ نفسه وينقذني معه، ولذلك عَرَضَت أن نقوم بها مرة أخرى وسوف أنال مكافأة مجزية، ولكني رفضت وأنقذني حينها حضور الحارس الذي أخذته وهربت، ولذلك لم أكرر زيارتي لتلك السيدة، وقطعت علاقتي بها بشكل نهائي.

لاحظت على رشدي الارتباك وغياب غروره وتكبره المعتاد عليه من بداية تلك الليلة ليظهر خائفًا من شيء ما عندما أردف وهو يرسم ابتسامة زائفة:

- وما زال زوجها هذا حي حتى الآن وللأسف لا أستطيع

أن أحذره من تدبير زوجته الخبيثة اللعينة له، وهي كانت متأكدة من أني سوف أخاف أن أفعل ذلك.

لحظات بسيطة واستلم رشدي رسالة بمكان القارورة المخصصة له، ولكنه نظر لشاشة هاتفه بذهول وصدمة لاحظها الجميع مما دفعني فضوله لسؤاله:

- ما الغريب في رسالتك؟

نظر لي بشرود وهو يقول:

- لا شيء.. لا شيء.

- ما هذا؟ لقد أغفلنا بسبب حديثنا الغبي عن الجن والمقرصن أنه كان يجب أن يستلم حسن رسالة بمكان قارورته هو أيضًا قبل رشدي، هذا بالطبع إذا كانت قصته حقيقية أو يفضحه برسالة جماعية فيها القصة الحقيقة لنا جميعًا كما فعل في السابق، ولكن أيًّا من ذلك لم يحدث.. غريب هذا الأمر.

قلتها متسائلًا ثم أشرت نحو رشدي وقلت ساخرًا:

- تأتي رسالتك بعد أن تنهي قصتك فورًا، وتتأخر رسالة حسن الذي سرد قصتين بدلًا من قصة.

لم يرد رشدي على مزحتي ورأيته قد اتكأ على ركبته ومدَّ

يده أسفل الكرسي الذي كان يقف بجانبه حتى خرج فجأة وهو يمسك بسلاح ناري مزوَّد بكاتم صوت ويشهره نحونا وهو ينهض سريعًا بوجه يرسم الغضب برغم خوفه ويده المرتعشة قائلًا:

- أنا سوف أخرج من هنا الآن، ولا يتبعني أحد، أما بخصوص الترياق فأنا متأكد أن لا نصيب لي فيه هنا، برغم أنه خيَّرني بينه وبين السلاح ولكني اخترت السلاح، وإذا كان للموت حتمية في تلك الليلة فأنا لا أرغب أن يكون موتي هنا، فأنا أكره الأماكن الخانقة.

أشهرت سلاحي بالمقابل له وقلت محذرًا:

- أنزل سلاحك ولا تزِد الجرائم عليك يكفيك ما حدث اليوم، كن عاقلًا.

هزَّ رأسه رافضًا طلبي، ثم ابتسم له طه وسأله:

- لماذا لم تقل كل الحقيقة أيها الخائن؟

«أذكى الأغبياء هو من يشعر بالغباء، فهناك الكثير من الأغبياء الذين لا يدركون هذا الشعور»

الفقرة السابعة

الرداء الدَنِس

(الطحاوي)

بحكم طبيعة عملي كلحَّاد بأحد المقابر وهي مهنة ورثتها عن والدي، ووالدي ورثها عن جدي، فهذا العمل يفرض علينا أن رزقنا مرسوم على أحزان الآخرين، ولذلك لا ينظر لنا أحد بشيء من الاحترام وكأننا مَن قبضَ أرواح أمواتهم، ونحن لا نفعل أي شيء في هذا سوى أننا نحفر وندفن ونردم فقط، ولذلك بحثت عن طرق تجعلني أكسب احترام الآخرين، الأول هو تعلُّم السحر واستغلال مهنتي في عمل الأعمال السحرية ودفنها لمن يرغب في ذلك، والطريق الثاني من خلاله كنت أنال الاحترام من أرقى فئة في المجتمع، فلقد كان يأتي لي كل فترة وأخرى أحد طلبة كلية الطب ويطلبون سرًا مني شراء جثة ساخنة، أي حديثة الوفاة، كي يقوموا بالدراسة عليها من خلال تشريحها وذلك لقلة إمكانيات معمل الكلية وتعثرها في توفير ما يكفي احتياجات الطلبة، ولذلك كنت خير عونًا لهم، حتى جاء لي طالب يدعى حسن اتفق معي على شراء جثة ولم تكن تلك المرة الأولى التي أتعامل فيها معه، فهو كان يؤدي دور الأخ الأكبر لمن هم أصغر منه

في الكلية بحكم أنه في عامه الأخير، وكان يعرض عليهم أن يساعدهم في دراسة التشريح بشكل عملي من خلال أن يكون مسؤولًا عن جلب الجثة ومكان الدراسة، والشرح لهم عليها، وفي المقابل يدفعون مبلغًا من المال ضعفَ ما كان يتفق معي عليه، وكنت أعلم ذلك ولكن لا أريد أن أخسر أهم زبائني كي أطمع في طمعه.

حتى جاء واتفق معي أنه يريد جثة في أقرب وقت، وبعد يومين هاتفته وأخبرته أن هناك شابًا توفى بإحدى المستشفيات وسوف يُدفن في صباح اليوم التالي، أبلغني بموافقته وأنه ينتظرني أن أحضره له في المساء كما هو الاتفاق بيننا أن النقل مسؤوليتي قبل التشريح وبعد التشريح، وقبل أن أتحرك أذاع في الراديو خبر وفاة العندليب عبد الحليم حافظ بأوروبا، وغدًا سوف يتم تشييع جنازته والبلد كلها في حزن عام، لا أنكر حزنت قليلًا عليه ولكن ليس مثل الآخرين، فأنا لست من محبيه بشكل كبير، أنا أحب محمد العزبي أكثر فهو شبابي ومرح أكثر منه، برغم تخبط أحوال البلد بين حزن وتوقف العمل وغلق محلات، ذهبت لحسن -كما هو متفق- إلى منزل عمه المهاجر خارج البلاد في أطراف البلدة، وقابلني بالمرآب، وهنا عرَّفني على ثلاثة من الطلبة كانت أسماؤهم عزمي وجلال وأنور، وأنا أتميز بالذاكرة القوية ويمكنني من مرة واحد أن أتذكر اسم

الشخص وأميز اسمه بشيء مميز فيه سواء شيء جسدي أو حركي، وهذا أفادني كثيرًا في عملي السري، وبالأخص السحر الأسود الذي أقوم به حسب الطلب، بعد أن سلمت عليهم، طلبت مساعدتهم، وبالفعل حملوا معي الجثة وصعدنا بها لأعلى في المطبخ الذي تم تحضيره ليكون كغرفة عمليات، أعدَّها حسن خصيصًا لتكون مؤهلة بشكل جيد لدروسه السرية لطلبة، بدأوا في ارتداء المعاطف الطبية وأنا أقوم بتحضير برَّاد كبير من الشاي يؤنس جلستي بالخارج في انتظارهم حتى ينتهوا، سمعت صوت طَرقٍ على الباب، فنظرت لحسن ومثلي فعل الجميع حتى أشار لنا أن نهدأ قليلًا وخرج وأغلق الباب علينا لحظاتٍ وعاد ومعه طالبان آخران وكان اسمهما طه ورشدي كانا أصغر من الطلبة العام الأول بالكثير، لا أنكر أني انتابني الخوف والقلق قليلًا فعادة لا يأتي أحد بعدي، أكون آخر من يأتي وأول المغادرين وبحوزتي الجثة في الرحلتين.

خرجت وأخذت براد الشاي وتركتهم يبدأون عملهم، وأحضرت جهاز الراديو الذي تركه حسن لي بالمرآب كي يسليني في سهرتي، وبالفعل بدأت سهرتي على أغاني عبد الحليم التي احتلت جميع القنوات للأسف، ومع ثاني كوب من الشاي تفاجأت بحسن قادم لي بوجه مكفهر عابس وسألني غاضبًا:

- كيف تأتي بتلك المصيبة إلى منزلي؟ هل أنت غبي أم ماذا؟ أخبرني؟

تفاجأت بأسلوبه الغريب معي والذي لم أقبله بكل تأكيد، فأشرت له بسبابتي محذرًا:

- احذر، لا تتحدث معي بهذا الأسلوب، فأنا لن أقبل به من أي أحدٍ حتى لو كان دكتور وغنيًّا مثلك، فأنا الطحاوي الذي لا يهاب شيئًا، أعلم هذا جيدًا، ثم لمَ كل هذا الغضب من الأساس؟

- تريد أن تعرف يا معلم طحاوي العظيم، تعالَ معي.

قالها بمزيج من الغضب والاستهزاء بأسلوب لم يرُق لي، ولكني تبعته لمعرفة ما سبب كل هذا، وبالفعل صعدت معه حتى وصلنا لغرفة العمليات أو المطبخ لأجد المدعو رشدي -على ما أذكر- وطه يرتعشان خوفًا وكأنهما قد شاهدا عفريتًا بالداخل، ظننت أنها رهبة رؤية جثة متوفٍّ لأول مرة، فمررت بجانبها ودخلت المطبخ لأرى عزمي يحقن الجثة بشيء ما وأنور وجلال يتابعانه بحرص، لم أرَ شيئًا غريبًا في الغرفة أو في الجثة، فنظرت لحسن مستغربًا وقلت في نفور:

- لا أرى هنا شيئًا غريبًا يجعلك تنفعل عليَّ بتلك الطريقة.

اتسعت عيناه وأشار نحو الجثة وصاح بغضب:

- الجثة ما زالت حية.

- جثة وحية كيف هذا؟

قلتها ساخرًا فزاد غضبه ومدَّ يده نحوي وكأنه يريد أن يضربني، ولكنه تمالك نفسه، وأخذ نفسًا عميقًا وردَّ بشيء من الهدوء:

- منذ دقائق بدأت في شرحي على الجثة وما إن أدخلت المشرط أسفل العنق، وقمت بقطع طولي للصدر لنتفاجأ بأن الجثة أخرجت صوت كأنها تئن ألمًا، وبعد الفحص وجدناها ما زالت حية، المصيبة أنها فتحت عينيها ونظرت لنا جميعًا ثم غفلت مرة أخرى، ولذلك طلبت من عزمي أن يحقنها بمنوم حتى تأتي وتتصرف في تلك المصيبة.

لم أستوعب ما قاله بشكل كامل، وتعجبت لعودة تلك الجثة للحياة مرة أخرى، فسألته مستنكرًا:

- كيف هذا؟ لقد أبلغني محروس العامل بمشرحة المستشفى أنه متوفٍّ قبل أن يأتي المستشفى من الأساس وهو تاجر شاب من بورسعيد وأخوه طلب بسرعة إجراءات الدفن وعدم التأخير، ولذلك كلمني وأخبرني أننا أمام بضاعة جيدة ويجب أن نستغلها بشكل جيد، فهاتفت حسن و...

قاطعني عزمي:

- ليس لدينا وقت لكل هذا، هل تعرف سبب الوفاة الذي كُتبَ في تقريره؟

- لا أعرف بالتحديد، ولكنني سمعت أثناء دفنه من أحد أقاربه اليوم كانوا يقول إنه علمَ بخبر سيئ عن شُحنة لديه في البحر فوقع من أثارها ومات.

كانت تلك إجابتي عما أعرفه عن هذا المتوفي، فأومأ عزمي برأسه ونظر إلى حسن وردَّ بشيء من الثقة:

- أكبر احتمال أنه تشخيص خطأ ليس أكثر، ومن الأرجح أنها كانت غيبوبة سكر وأفاق لسوء حظنا الآن.

- ما العمل الآن؟

كان هذا سؤال جلال بملامح تمتلئ بالقلق وأضاف أنور في تردُّد:

- الأصعب الآن أنه رأى وجوهنا جميعًا.

ظل الجميع ينظرون لبعضهما البعض وبدأوا في التفكير جاءت لي فكرة فقلت متحفزًا:

- يمكننا أن نرميه أمام أي مستشفى، وعندما يفيق ويتذكر

لن يصدقه أحدٌ وكأنه مخبول، ولا تنسوا غدًا جنازة عبد الحليم وسوف تكون البلد في عالم آخر، ولن يركز أحد معه من الأساس.

أثناء حديثي دخل من الباب طه ورشدي ما إن سمع اقتراحي حتى اتسعت عيونهم، فردَّ عليَّ حسن بهدوء:

- لا .. لا، لا يجب أن يكون هناك احتمال من الأساس يشير إلينا بأي شكل من الأشكال، نحن جميعًا في بداية حياتنا، ولن نسمح بأن يفسدها أي شيء.

المحقق

نظر رشدي إلى طه بتوجس، وأجابه على سؤاله بتردُّد:

- اعذرني يا صديقي، لماذا تقول ذلك؟

نظر له طه بعين غاضبة واحمرَّ وجهه، ما إن استدار رشدي ليخطو نحو الباب حتى رنت هواتفنا جميعًا باستلام رسالة وكان نَصُّها:

«خدعكم رشدي الكاذب ولم يقل الحقيقة كاملة، إن بطلة قصته هي يسرا زوجة طه (الثلج الأحمر)».

نظرنا جميعًا نحو طه الذي برزت عروق وجهه واتسعت عيناه وهي ترصد رشدي المتصلب مكانه في خوف، حتى صاح فيه طه:

- كم أنت حقير ونذل ونجس تخونني أنا يا ابن الكلب! تصلبت مفكرًا وأدركت أنك تكذب في بعض الأحداث وتتلاعب بي كي لا أدرك أنك كاذب لعين، اختلقت قصة أثناء زيارتك لي كي تشكو مما فعله حسن معك وبدلتها الآن بقصتك البالية الضعيفة لسيارتك المعطلة، وها قد جاءت الرسالة لتثبت شكوكي.

تقدَّم نحوه بخطوات ثابتة وقوية ورشدي يشهر السلاح

الذي معه في وجهه بيد مرتعشة، ثم أردف:

- منذ أن أنهيت قصتي وذكرت ما فعلته بيسرا زوجتي وأنت تغير حالك وأصبحت متوترًا، حتى وصل بك الحال أنك طلبت من الضابط أن يتصل بالقسم كي تهرب مني، والآن أخترت السلاح الناري عن القارورة كما ذكرت كي تحمي نفسك مني وتهرب، هل تظن أنه سوف يحميك مني؟

تحرك رشدي بخطوات مذبذبة نحو الباب بطريقة سَير عكسية خوفًا من تقدُّم طه نحوه، أمسكت سلاحي وقررت أن أمنعه من التقدم، ولكني فوجئت بحسن يقبض على يدي وهو يقول بصوت خافت:

- اسمع مني هذه المرة واتركهما يتناحران، وأظن أن تدخلك المرة السابقة لم يكن أفضل شيء.

لا أعرف لماذا شعرت برغبة في قبول ما يعرضه عليَّ، هل لمكره وأسلوبه الخبيث أو ما عرفته عن تلك الشخصيات كَسَاني بالبرود فأصبحت لا أشعر بالتعاطف معهم، أو حبًا في فرض سيطرتي عليهم، ثبّتت قدمي مكاني وقررت أن أؤخر تدخلي فلقد جذبني الفضول لمعرفة نهاية هذا الصراع فالاثنان بالنسبة لي مجرمان يتستران خلف ثوب العلم.

تقدَّم طه من رشدي دون أن يظهر له أي خوف من تهديده

له بالسلاح الناري، وبالمقابل تقهقر رشدي للخلف وهو يتنفس بأنفاسٍ سريعة وعالية الصوت، ولكنها لم تغطِّ على زفير طه العالي المتقدم بشجاعة وكأنه يثق في أن رشدي أضعف من أن يضغط على الزناد، كان يعلم أن غرور صديقه الظاهر للعلن ما هو إلا دِرع نفسي يستخدمه لوضع حدود بين من حوله حتى لا يظهر أمامهم أنه شخص ضعيف وجبان، وهذا كان يدركه طه جيدًا من تصرفه هذا.

وصل الفرق بينهما خطوتين وكان رشدي قد لمسَ بظهره الباب ففزع قفزًا والتفت حتى يمسك بمقبض الباب، ولكن طه لم يهنِّه بتلك اللحظة، فانقضَّ عليه من الخلف ودفعه نحو الباب لتصطدم رأسه بالباب وتنفجر جبهته دمًا، جعلته يترنح قليلًا على آثارها في محاولة للاتزان، ولكن لم يصبر عليه طه ولحقه بلكمة بيمينه لف حوله نفسه وسقط أرضًا، ثم انقضَّ عليه وجلس فوقه وأمسك بقبضتي يديه القويتين المتصلبتين رقبةَ رشدي، وعروقًا امتلأت بوجهه ونفرت من جسده، وعيناه جحظتا أسفل حاجبيه الكثيفين وكأنهما كورتان من اللهب، وبرغم سنه الكبير إلا أنه صلب الجسد.

ورشدي أسفله برغم هيئة جسده الرياضية إلا أنه فضح ضعفه وتقلصت عضلات وجهه وازدادت احمرارًا، ولكنه نظر بجانبه قليلًا، وعلى حين غفلة سمعنا صوت ضرب طلق ناري

مكتوم، تركنا حذرنا وتوجهت أنا وحسن نحوهما لنجد أن الاثنين في نفس الوضع، ولكن ليس بنفس القوة، وكأنهما بداخل مشهد في فيلم حركة قد تمَّ تثبيته على هذا الوضع، حتى باغتنا طه بشهقة عالية ليكسر هذا الصمت ويظهر الدم المختلط بينهما حتى مال طه وسقط جانبًا ونزيف دم متدفق من جانب بطنه، ليفترش جسده بجوار رشدي ويكشف عن تلقيه رصاصة نافذة.

سعل رشدي في محاولة لالتقاط أنفاسه، ولكن ما إن رأى جسد طه بجانبه ودمه الساخن على يديه وملابسه التي اختلط الأحمر فيها باحمرار الدم، ذُعرَ ونهض قافزًا من جانبه وهو يضرب جسده في محاولة لا شعورية فاشلة لنثر الدم من على ملابسه وكأنه غبارٌ، ظلَّ يفعل ذلك وكأن محاولاته تلك سوف تخلّصه من هذا الدم، ثم قال مرددًا:

- لقد أرسلها لي على الهاتف «روحك أم روح صديقك؟» فلا خيار لي، «روحك أم روح صديقك؟»

ظلَّ يكررها، فصرخت فيه آمرًا:

- توقف عما تفعله واهدأ.

نظر لي ولحسن بدهشة محاولًا تذكُّرنا وكأنه نسي أننا كنا معه أثناء كل هذا، فالتفت وهو ينظر أرضًا يمينًا ويسارًا

وظلَّ يدور حول نفسه حتى تفاجأنا، بصوت طه وهو يحاول أن يتكئ على ذراعه وفي اليد الأخرى السلاح الناري الذي كان مع رشدي وتركه بدون وعي عندما صدم برؤية جثة طه وأحس بجريمته، ولكن كان طه يتألم وهو يصوب السلاح نحو رشدي ثم قال ببطء:

- لم أكن أعلم أني صادقت أقذر بروتس على مَرّ التاريخ.

ما إن أنهى كلماته حتى تبعها بطلقة خرجت من السلاح الذي معه حتى نَفَذت في رقبة رشدي أوقعته أرضًا، نظر له طه صامتًا ثم بصق عليه، ثم نظر لنا وأردف:

- إذا كان قدري أن أموت، فلا يشرفني أن يقال إنه مات على يد هذا النجس.

وأمسك السلاح وصوَّب فوهته بجانب رأسه، لتخرج طلقة من الجهة الثانية من الرأس ومعها خط من الدماء يتطاير من رأسه والتي سقطت أرضًا، وأنا وحسن نشاهد ما يحدث في ذهول من سرعة الأحداث، التفتّ حولي وصدمت مما وصلت له في هذا البيت، ست من الجثث المختلفة في أماكن مختلفة وطرق موت مختلفة، حتى عدت لحسن ورأيته ينظر لي نظرة غريبة وسألني:

- هل تتوقع يا حضرة الضابط، أن ما آلت له تلك الليلة من

أحداث هو شيء مُدبَّر؟ أم لعبت الصُدف المريبة دورَ القدر لتصنع تلك النهايات المختلفة؟

قبضت على سلاحي بين يدي وجاوبته بشيء من الجدية:

- لا أعرف، ولكن أرى أن الأمر يزداد دموية كل مرة عن المرة السابقة لها وأظن هذا مقصود بشكل ما، وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيدًا، ولكني أراهن على النهاية على كل حال، أما عن حديثك عن الصدف فأنا لا أصدق فيها، فهي مجرد شيء تتمنى حدوثه في عقلك ولم تعلن عنه ولا تعرف متى يحدث، لذلك عندما يحدث تشعر بمتعة في حدوثه، وكأن ليس لديك يد فيه مما يُشعرك بالرضا المزيف والذهول اللحظي.

نظر لي وقال مستغربًا:

- ردٌّ فلسفي لا أعهده على رجال الشرطة، برغم أني تعاملت مع الكثير منهـ...

قاطعه رنين هاتفه بالرسالة، ما إن فتحها وقرأ ما فيها إلا وردَّ ضاحكًا:

- لأني أصبحت اللاعب الوحيد المتبقي وتعويضًا عن تأخر استلامي لرسالة القارورة، فكان من المفترض أن أحصل عليه قبل لغز رشدي، سوف أنال الترياق بدون اختيار أو تفضيل بين اثنين.

- مكافأة مثلما فعل مع أنور.

قلت تلك الكلمات فأومأ برأسه إيجابًا وأردف ساخرًا:

- لكن بشرط أن أحل اللغز الأخير وأفضح السر الأكبر، وأشعر بداخلي أني أعلم عما يدور السر الأكبر بالنمط الذي تسير عليها تلك اللعبة حتى الآن، ولكن ولمَ العجلة؟ ننتظر رسالة اللغز ونكمل اللعبة بشكل نهائي.

- كان لديهم الحق فيما قالوه عنك، حتى مع كل هذا تريد أن تلعب؟

ردَّ عليَّ بشيءٍ من الغرور والثقة:

- لم أكن ألعبها من قبل، ولكن عندما لعبتها اليوم بطريقتها الدموية التي أضافت متعة ولذة خاصة، إنها تجمع بين البازل والمعلومات العامة ومفردات اللغة، مما تجعل من يمارسها باستمرار يتحدث قليلًا، ولكن حديثه يتسم بالثقة واللباقة، يقف أمام المشاكل مفكرًا بهدوء وصمت، لا يأخذ قرارًا إلا بعد دراسة كل الاحتمالات

- إنك على حق فكل هذا لمسته فيك تلك الليلة، وأرى أنك اشتركت في تلك الصفات مع عزمي.

رنَّ هاتفه برسالة اللغز فابتسم وهو يقرأها وقال بثقة:

- كنت واثقًا أنه يريد تفاصيل تلك القصة.

ثار فضولي بتلك الكلمات وما إن لاحظ هذا حتى أدار شاشة هاتفه لأقرأ الرسالة والتي كان نَصُّها:

«3 أفقي «صاحب أكبر جنازة مصرية في أواخر السبعينيات» (الثلج الأحمر)».

نظر حسن للغز وقال بكثير من الفخر:

- كان لعزمي الفضل في حله الأول للألغاز وترك لنا نكمل المربعات من خلال باقي الألغاز التي استلمناها في الرسائل لتأتي الرسالة الأخيرة بلغز محلول في النهاية، انظر هنا.

أشار نحو السطر الثالث أفقيًا وبدأ التحديد أسفله بسبابته ليكتمل أمامي حل اللغز وكان اسم (عبد الحليم) العندليب الأسمر الذي توفى فعلًا في أواخر سبعينيات القرن الماضي، نظر جانبًا ثم أمسك بعجلة كرسيه وحركها للخلف وأنا أتبعه جاهلًا وجهته حتى استدار به وتقدَّم نحو الجثة الأولى حتى إنه انحنى قليلًا ودنا برأسه أكثر ما يمكن من وجهها المكشوف، أصابتني الريبة بفعله هذا فسألته مقاطعًا ما يفعله:

- هل يمكنك شرح ما يحدث لي؟

فباغتني بسؤاله:

- هل عندما كشفت عن صدره لاحظت شيئًا غريبًا؟

فاجأني سؤاله فأجبته متسائلًا:

- كيف عرفت؟

ضرب بيده مقبض كرسيه وقال بنشوة:

- كنت أشك فيه من البداية، أخبرني بالضبط ماذا رأيت؟

أجبته في ريبة:

- رأيت بعضًا من الرسومات الغريبة المكونة من الأرقام والحروف والخطوط المتقاطعة كوشوم تشبه...

- تشبه رسومات السحر والشعوذة وما إلى ذلك من خرافات.

قاطعني هو مكملًا بتلك الكلمات بكثير من الثقة، وما إن رأى تأكيدًا مني لفرضيته حتى نظر للجثة وابتسم وقال ساخرًا:

- بعد كل هذا العمر تأتي لنا لكي تجبرنا على نبش سر دُفن من سنين يا طحاوي.

- طحاوي؟ هل تعرفه؟

سألته وأنا أشير نحو الجثة فتنهد وعاد للكرسي بعيدًا قليلًا عنه وهو يومئ برأسه وأجابني مؤكدًا:

- نعم أعرفه ولست أنا فقط بل كل من كان هنا يعرفه أيضًا وهو بطل قصة اللغز الأخير، وهو فعلًا سرنا الأكبر والسبب في أن نجتمع سنويًا مع بعض حتى لا ينسى أحد تلك الليلة ونتذكر أنه مهما حدث في حياتنا وخطفتنا مشاغل الدنيا سيبقى بيننا رابط واحد قوي.. بدأ بالدم ومَن أراد أن يقطع هذا الرابط فهو يحكم على نفسه بالدم ونتحد جميعًا ضده، فرابط الدم لا يقطع إلا بالدم وظلَّ عمر هذا الرابط أربعين عامًا الآن.

أشار بسبابته نحو الجثة الأولى وأردف:

- يدعى الطحاوي، يعمل لحَّادًا في أحد المدافن كان بمثابة الرفيق السري لطالب الطب في متوسط سبعينيات القرن الماضي، كان الطالب يقوم بالاتفاق معه سرًّا لكي يجلب له جثة ليقوم عليها بالدارسة والتشريح، وكنت قد تعاملت معه مرات عدة سواء لي أو لمساعدة بعض الطلبة التي كنا نساعدها أنا وعزمي بحُكم أننا الأقدم منهم بالكلية، وكنت أدير هذه التدريبات في أحد بيوت العائلة الخاصة، وفي يوم مشؤوم كنت قد اتفقت مع الطحاوي على جلب جثة لعدد من الطلبة المبتدئين يرغبون في الدراسة عليها وهم

جلال وأنور، وكان طه ورشدي مستجدين بالكلية ورغبا أن يحضرا التجربة كنوع من إرضاء طيش مراهقتهما، وبالنسبة لي إذا حضر المال بُطلَ الضمير، وبالفعل الطحاوي استطاع الحصول على واحدة، وهاتفني أن نجتمع كي يحضرها ونقوم بالشرح لهم ويقوموا بتدريب عليها.

نظر لجثتهم من حوله بنظرات سخرية ثم أردف:

- حضر الطحاوي بالجثة في المكان المتفق عليه، ووضع الجثة في الغرفة المعدة لذلك، ولكن ما إن شرعنا في الشرح وبدأنا في التشريح، إلا ونفاجأ بأن الجثة فتحت عينيها ونظرت لنا، ثم غابت عن الوعي مرة أخرى وحينها علمنا المصيبة الكبرى أن الجثة ما زالت حية، نزلت صارخًا في الطحاوي عن المصيبة التي أوقعنا فيها، لم يصدقني إلا عندما صعد وتأكد من ذلك، ولم يكن لدينا حلول كثيرة فتَرْك الجثة أمام إحدى المستشفيات والهروب يعرضنا للمساءلة بسبب رؤية الجثة لنا وتلك الخطورة كبيرة علينا، مهما راهنّا على وعيه الضعيف فمن الممكن أن يتذكر في يوم من الأيام.

داعب بأصابعه أسفل ذقنه وهو ينظر لي صامتًا ثم أردف:

- ولذلك اتفقنا على قتل الجثة وإعادة دفنها غدًا ليلًا مرة أخرى في مدفنها، وطمنا الطحاوي أن بسبب وفاة عبد الحليم حافظ سوف يكون الوضع الأمني بالبلاد غير

متماسك وباقي الشعب منشغل كثيرًا بحضور الجنازة ومسيرتها.

اتسعت عيناه وهو يشير لي بسبابته عدة مرات ليجذب انتباهي أكثر عندما أكمل:

- ولكن ما حدث عندما قررنا ذلك كان صدمة، فلقد استيقظت الجثة أمامنا وحاول أن ينهض وهو يمسك جسده المرتجف من البرودة ويسأل أين هو؟ ومَن نحن؟ وما أتى به إلى هنا؟ فنظرنا لبعضنا البعض في تصلب وكأن على رؤوسنا الطير حتى فاجأنا الطحاوي بقدومه مسرعًا من خلف الجثة الحية وطوّق أحد الأنابيب الطبية الرفيعة حول رقبته وقبض عليها من الخلف ثم جذبها نحوه بقوة.

نظر لجثة الطحاوي أرضًا وشردَ وهو يردف:

- كانت ملامح الطحاوي مرعبة بحق، ولكن كان المخيف أكثر هو ملامح الجثة والتي انتقلت من الصدمة للفزع ثم المقاومة حتى وصل للتوسل لنا والإشارة لنا لمساعدته وإنقاذه، ونحن ما زلنا متشبثين بالأرض نتنفس ثلجًا من برود مشاعرنا، لم نتحرك من مكاننا إلا عندما تراخت عضلات جسده وذبلت أطرافه، وأيقنا أنه عاد لمصيره المكتوب له منذ بداية اليوم، ما إن رحل الطحاوي بها ثاني يوم ليلًا كما اتفقنا، حتى اجتمعت بهم وأقسمنا أن يكون هذا سرنا الأكبر،

ولكي لا ننسى ما قمنا به أمرتهم أن نجتمع بشكل سنوي ويكون المضيف واحدًا منا بالتناوب فيما بيننا هو المحدد ليوم ومكان الحفل، وأن حادثة اليوم هي الرابط الوحيد بيننا ولكل واحد فينا حياته الخاصة وتعاهدنا على تنفيذ هذا الطقس السنوي، وها نحن اجتمعنا اليوم ولم نكن نعرف أنه سيكون الحفل الأخير.

بسط يديه الاثنتين فاردًا ذراعيه وكأنه يستعرض المكان الذي كان من المفترض أن يكون مقر حفلته الخاص والذي أصبح مثل الجبّانة من كثرة الجثث، استفزني هدوؤه المبالغ فيه فقلت مستغربًا:

- أرى أنك لا تبالي بما حدثَ حتى الآن وكنت الأهدأ من بين الجميع طيلة تلك الليلة، ولا أنكر أن بقاءك للنهاية بهذا الشكل يزيد الشك فيك.

رن هاتفه برنين الرسالة فأمسكه ونظر إلى شاشته قليلًا، ولم يفتح الرسالة بل تجاهلها مما أثار فضولي فسألته ساخرًا:

- ألم ترِد أن تعرف أين ترياقك لكي تفوز في تلك اللعبة وتصبح الفائز الأكبر الذي استطاع أن يبقي على حياته حتى نهاية المدة المحددة من المدعو الثلج الأحمر.

نظر لي بوجه مائل ونصف ابتسامة وأمسك الهاتف وضغط

على زر الأقفال حتى أغلق الهاتف واسودت شاشته، ثم رماه أرضًا مما صدمني حتى توقعت أنه سيفعل شيئًا مباغتًا فعدت خطوة للخلف وأنا مشهر سلاحي، ما إن رأى ردة فعلي حتى انفجر ضاحكًا ثم قال لي:

- أرى أنك صدقت الخرافات التي قيلت لك أني لست عاجزًا، وأن الحادث لم يؤثر عليَّ كما أدعي وتنتظر أن أنهض من جلستي وأفاجئك بأني المخطط لكل هذا، أليس هذا ما جاء في خاطرك الآن؟

- ليس غريبًا ولا مُستبعدًا أن يحدث ما قلته الآن، ولكن الشيء الحقيقي الوحيد الذي قلته في تلك الليلة هو أنكم جميعًا كاذبون ولا يجب أن أصدق أحدًا فيكم.

أصررت أن تكون نبرتي حادة معه حتى أجعله يفكر مرتين قبل أن يفعل شيئًا قد يندم عليه، ولكنه أومأ برأسه لي عدة مرات وكأنه يتفق مع حديثي حتى إنه صفق لي ثم أشاد بي:

- أحسنت حضرة الضابط هذه هي الحقيقة الصحيحة في هذا المكان، ولكن هناك حقيقة أخرى لا تعلم عنها شيئًا.

نظرت له وسألته مستغربًا:

- ما هي؟

فتنهد ونظر لي بشيء من الأسى:

- إني سوف أموت الليلة.

نظر لي ليرى صدمتي ثم عاد وأردف:

- نعم لا تستغرب قولي، نعم أعلم أنها ليلتي الأخيرة ولكن ليس بسبب النبيذ المسموم أو الترياق المزيف أو حتى بيد الثلج الأحمر هذا ولكن بيدي.

لم يدعني أقاطعه، ورفع كف يده وأومأ متفهمًا ثم أردف:

- بعد موت ابني الوحيد في حادثة كنت أنا السبب فيها، بسبب انفعالي وغضبي عليه أثناء قيادتي مما جعلني لستُ منتبهًا بشكل كافٍ حتى ألاحظ انحراف السيارة عن الطريق حتى حدث ما حدث ومات ابني أمام عيني وأنا حبيس السيارة المطبقة والمتقلصة على أجسادنا، ليخرج ابني منها بجسد مفروم وأنا أخرج منها مشلولًا خاسرًا لكل شيء.

أخرج من جيبه ورقة مطوية وأردف:

- جاءتني أفكار كثيرة بالانتحار ولكني قررت منذ أسبوعين أن أجتمع مع آخر أشخاص أعرفهم وأستغل أني المضيف هذا العام، على أن أنتحر بعد أن ينتهي الحفل وينصرف الجميع وهذه رسالة بانتحاري.

أخرج من الجيب الآخر زجاجة صغيرة وفتح غطاها ونظر لي وقال مبتسمًا:

- أريد أن أخبرك بشيء قبل أن أتناولها، مرت المهلة المحددة من الثلج الأحمر وانقضت منذ أكثر من ثلث ساعة وأنت لم تلاحظ شيئًا ولم يتغير شيء ولم أمُت بسبب السم حتى الآن.

أشار بسبابته لأعلى ثم أردف:

- أظن أنه اكتفى من اللعبة ورحل دون أن يودعك ونقض عهده معك.

- لا، أظن أنه مستمتع بما يحدث ولا يرغب في إفساده.

نظر لي ثم أومأ مؤكدًا على كلامي ثم رفع الزجاجة الصغيرة على فمه وتناول ما فيها حتى النهاية وقال وهو يسقطها أرضًا:

- أتمنى أن يسمح الله لابني أن يزورني في جهنم بين الحين والآخر.

نظرت له متأملًا ثم انحنيت أمامه وقلت بنبرة هادئة:

- حسين داغر.

فنظر لي وسألني مستغربًا:

- ماذا؟ مَن حسين داغر هذا؟

فابتسمت وقلت في بشاشة:

- إنه جدي يا دكتور.

فمال برأسه وكأنه تذكر شيئًا ما ثم سأل:

- لقد ذكرت أن اسمك محمود صقر فهل هذا باقي اسمك أم هو جدك من والدتك؟ ثم ما دخله بما نحن فيه الآن؟

- كيف وكل ما حدث اليوم حدث على شرفه.

لم يصِغ حسن كلماتي وبدأت أعراض الألم بسبب السم الذي تناوله تجتاح ملامحه فقال متسائلًا:

- أرجو الشرح أكثر حضرة المحقق فأنا على مشارف الموت، أسرع إذا رغبت في قول شيء لي فروحي تتأرجح في البرزخ الآن بين الحياة والموت.

فردت ظهري مرة أخرى وتحركت خطوتين للخلف وقلت بكثير من الهدوء:

- منصور أحمد حسين داغر مدرس علم نفس وفلسفة حتى يأتوا بمدرس فلسفة بمدرسة مصطفى كامل الثانوية بنين، أعزب لضيق الحال، الأخ الأكبر لأخوين، ولأنه من أصول

صعيدية بحتة فالأخذ بالثأر هو أحد أركان الحياة هناك.

تقلصت ملامح وجه حسن ألمًا فقال بغضب:

- من ابن الداعر داغر هذا؟

أشرت بسبابتي بالنفي وقلت بهدوء وحزن:

- أنا لم أسبّك حتى تسبني، اترك في حياتك عدة ثوانٍ قليلة دون أن تفعل إثمًا أو ذنبًا، أم أنك أقسمت ألا تضيع حياتك إلا وأنت تنافس إبليس في خطاياه.

نظرت له في عينه وأنا أتقدم نحوه وأشير له بإشارتي الثلاثية قائلًا بنشوة:

- هناك ثلاث حقائق أتمنى أن تعلمها قبل أن يلتهم السم روحك.

خطوت نحوه ببطء ثم رفعت سبابتي وقلت:

- الحقيقة الأولى أنا لست المحقق محمود صقر بل أنا منصور أحمد حسين داغر، ما أظهرته لكم في البداية كان بطاقة تعريف مزورة.

ضحكت ساخرًا ثم أكملت:

- ومَن منكم في مصيبتكم كان سوف يتجرأ، ويطلب مني

أن يتأكد من تحقيق شخصيتي.

ثم أضفت الوسطى للسبابة وأردفت:

- الحقيقة الثانية سبب مجيئي هنا هو كي أشاهد قتلة جدي وهم يموتون أمام عيني.

ثم أضفت الإبهام، وكنت قد دنوت منه وقلت:

- الحقيقة الثالثة جدي حسين داغر هو الرجل الذي كتبَ الله له النجاة بعد التشخيص الخاطئ بالوفاة وهو كان مصابًا بغيبوبة سُكَّر ليس إلا، حتى قررتوا قتله واستغلتوا جنازة عبد الحليم ودفنتموه مرة أخرى.

التفت للخلف ثائرًا وقلت بغضب:

- لينهش عم والدي في حقه ويترك والدي بلا شيء حرفيًّا، حتى نصبح فرع العائلة الفقير المنبوذ عن الجميع، فهل تظن عندما تأتي لي فرصة كي أتشفى فيمَن تسببوا في ضياع مستقبل عائلتي هل أتركها؟

ضحكت ساخرًا وأنا فاردٌ ذراعي، وقلت بسعادة وأنا أستدير أمامه حول نفسي:

- بالعكس كانت ليلة سعيدة جدًّا لي، كما كانت ليلتي وأنا أرى عم والدي يموت أمامي.

ما إن أنهيت كلماتي والسعادة والحماس يغمرني حتى صدمت عندما لاحظت أن رأس حسن قد سقطت على صدره وريم أبيض يتساقط من فمه، معلنًا وفاته وارتاحت البشرية منه أخيرًا، ها قد ارتاح صدري قليلًا من البركان الثائر بداخله من هؤلاء الشياطين المرتدين الثوب الأبيض وكأنهم ملائكة، متمثلين لجدهم الأكبر إبليس الذي ما إن رفعته الملائكة للسماء وارتدى زي الملائكة، وأحب لقبه الجديد عزازيل الشبيه بألقاب الملائكة وظنَّ حينها أنه ملاك، ولكن عندما جاءت الفرصة لتظهر حقيقته خلع الزي الملائكي وظهرت ألاعيبه الخبيثة والتي استمرت حتى يومنا هذا على يد أبنائه من البشر الذين يفترشون من حولي كجثث بالية.

لا أظن أني لمست شيئًا هنا أو تركت بصمتي على شيء فلقد كنت منتبهًا جدًّا لتحركاتي، من الممكن عندما وقعت هنا أرضًا، يمكنني أن أمسحها الآن بمنديلي، لا أظن أن هناك شيئًا غير ذلك، أما السلاح الناري نعيده مرة أخرى في جيب بنطالي، وارمِه في أي سلة قمامة خارج تلك المدينة، ولكن هل أرحل دون أن أشكر المضيف الحقيقي لهذا الحفل الذي دعاني كي أقوم بهذا الدور ونفذت كل ما أمرني به، ولكنه أمرني أن أرحل بعد أن ينتهي الحفل، ولكني لم أكن أعلم أنه سوف يكون حفلًا عظيمًا بهذا الشكل، هل أرحل وأنفذ أمره الأخير أم أصعد للدور العلوي وأقابله وأشكره؟

ترددت كثيرًا وأنا أفكر، مما دفعني لكي أشعل سيجارتي الأخيرة وأكسر أعظم قواعدي الصارمة، ولكن ما حدث معي اليوم يجعلني أكسر تلك القاعدة بقلبٍ مرتاح، أشعلتها وتنفست دخانها أخيرًا وأنا أفكر حتى غلبني الفضول كي أصعد لأعلى خطوت نحو الدرج، وصعدت ببطء شديد متحسسًا خطاي حتى وصلت للدور العلوي ورأيت شاشة التلفاز، والجلسة الشبابية التي حوله ولكن لم يكن أحد متواجد، تجرأت حتى أفتش في الغرف والحمَّام بالممر على يمين التلفاز، أمسكت مقبض باب الغرفة الأولى بالمنديل وفتشتها ولم يكن بها أحد ومثلها وجدت باقي الغرف والحمَّام، نزلت من الدرج مستاء وقررت الخروج من هذا المنزل في أسرع وقت، ولكن ما إن أنهيت نزول الدرج حتى انطفأت الإضاءة في المنزل، حاولت أن أُخرج هاتفي كي أفتح كشافه ينير لي الطريق حتى الباب ومنه للخارج بلا عودة، ولكن شعرت بضربة قوية على رأسي من الخلف أظلم على أثرها بصري وفقدت الوعي.

«لا تنخدع بالمظاهر البراقة فهناك الكثير ممن حولك يلبسون الرداء الدَنِس ويرفرفون من فوقك بأجنحة الملائكة»

الفقرة الأخيرة

أخطاء الماضي

(الملاك)

في عالمي الخاص هنا أشعر وكأني شخص آخر، عالمًا أشعر فيه بذاتي، ويمكن أن أسميه أيضًا عيادتي السرية، والتي أقوم فيها بكل صفقاتي وتجارتي الصغيرة الخاصة، وهي معدة بشكل جيد بها معمل تحاليل صغير وغرفة عمليات متوسطة الإمكانيات وغرفة تحضير بها سريران وغرفة الثلاجات المخصصة للحفاظ على الأعضاء البشرية المستأصلة حتى يحين وقت تسليمها للمندوب المختص بتلك المهمة، وهو الوسيط بيني وبين المستثمرين في هذا النوع من البضاعة الخاصة جدًّا.

تركت دكتور عبد العظيم بغرفة الثلاجات بعد أن استلمت منه جثة لشخص مجهول لم يتعرف عليه أحدٌ ليكون مادة جيدة تؤجر للطلبة للدراسة عليها، ويعتبر الدكتور عبدالعظيم هو المسؤول عن توريد تلك الجثث لي بحكم أنه رئيس قسم المشرحة بإحدى المستشفيات الحكومية، تركته ووضعت سماعة أُذن واحدة والتي تدندن بصوت مُطربي المحبوب «محرم فؤاد» وأنا أنصت لقائمة من أجمل أغانيه فلا يكتمل

هذا العالم إلا وأنا وصوته في أذني، وكان يغني رائعته «يا واحشني رُد عليَّا» ووصلت الأغنية للمقطع المفضل لي:

الشوق خدني ورماني على ناره اللى بتكويني

وغيابك طال خلاني سهران على دمعة عيني

شوف قلبي شوف حرمانه شوف حيرته شوف تعذيبه

ليه بس هتنسى حنانه دا حبيبك وانت حبيبه

دخلت غرفة التحضير الطبية في انسجام تام والتي بها سريران أحدهما مشغول بجسد رجل عشقت غباءه أصيب بغيبوبة منذ أسبوعين بسبب ضربة قوية أسفل الرأس أثرت على مركز الذاكرة، واتضح من نوبات الإفاقة المتقطعة له بين الحين والآخر أنه أصيب بفقدان ذاكرة كُلّي وتأثرت عضلة اللسان ببعض الخمول والذي سوف يؤثر بعد ذلك على مخارج الحروف، نسبة أن يعود لطبيعته ليست كبيرة. اقتربت من الفراش الذي يرقد عليه في غيبوبته وتحدث معه كأنه يسمعني:

- كيف حالك اليوم يا منصور؟ أعلم أنك أفضل حال بالتأكيد وهذا بفضلي أنا، لأني تركتك تعيش برغم أنك لم تلتزم بأمري الأخير لك، وهو أنك تغادر بعد أن ينتهي الحفل، ولكنك صعدت لأعلى وعصيت أمري فكان يجب أن

تعاقب، ولكن بعد أن أخذتك معي لقتلك كي أتخلص منك بعيدًا عن مسرح الجريمة، أخبرني الدكتور عبد العظيم أن ضربتي جاءت في منطقة خطيرة ومن الممكن على أثرها تفقد الذاكرة، هذا إذا أفقت من الغيبوبة وعلى هذا الاحتمال تركتك تعيش، ولكن لن أنتظرك بجانبي في غيبوبتك طيلة حياتي، فمن رحمة قلبي قررت أن أتركك أسبوعين كاملين إما أن تفيق من غيبوبتك بشكل كامل ويَصدق الدكتور عبد العظيم في تكهنه، لأنه إن لم يَصدق فسوف أنهي حياتك وأنفذ قراري المتأخر في قتلك، وها قد مرَّ الأسبوعان ولم يتبقَّ أمامك سوى ساعتين، وحينها سوف أقتلك أيضًا، أعرف أنك لم ترَ في رحمتي من قبل، ولهذا سميت نفسي بالملاك، كما يوجد ملاك الحب وملاك الموت، والحب والموت لديهم وسيلة لفعل شيء سامٍ، أنا أيضًا أفعل شيئًا ساميًا بأني آخذ أشلاء جسد تركته روحه حتى أمنحه لجسدٍ آخر ما زال متمسكًا بروحه، واستخدم الدم كوسيلة من أجل فعل هذا ولذلك ألقِّب نفسي بالملاك أو بملاك الدم.

جلبت كرسيًّا ومسحته جيدًا وجلست بجواره وأخذت نفَسًا عميقًا وأنا أنصت لغناء محرم العذب ثم نظرت لمنصور وقلت في هدوء:

- أعلم أنك تريد أن تعرف كل شيء عن تلك الليلة، وبما

أن لم يبقَ في حياتك سوى ساعتين فيمكنني أن أقص لك ما حدث، ولكن لكي نبدأ البداية الصحيحة يجب أن نعود بالزمن لعامٍ مضى، وبالتحديد في الحفل السنوي الذي كنت أنا المضيف فيه، وكنت أرغب في معرفة ماذا يخفون عني أصدقائي أو يمكن أن نقول عليهم شركاء الدم، وبالفعل خططت جيدًا لهذا اليوم، بأن أسقيهم شيئًا يجعلهم يهلوسون ويفشون بكل ما يخفونه، ولكي لا أجعلهم يشعرون بالريبة، فبدلًا من أن أضع المادة المخدِّرة في زجاجة النبيذ، دهنت بها قاع الكأس وجعلت كأسي آخر كأس وهذا لأني المضيف، والمضيف آخر من يُسقَى كأسه، وبالتالي لن يشكّوا فيَّ وأنا أشرب أمامهم، ومع تناولهم لأول كأسين وبدأوا في دخول عالم الهلوسة، واستطعت حينها أن أطلب منهم أن يخبرني كل واحد فيهم بأكبر سِرٍّ في حياته، وسجلت تلك الليلة بكاميرا سرية حتى إني أخبرتهم بسر حياتي فكنت متأكدًا بأنهم لم يذكروا أي شيء عن تلك الليلة.

دنوت منه وقلت في حدة وثقة:

- وبعدما علمت بتلك الأسرار قررت أنا بدوري كملاك الدم أنهم أعضاء فاسدون في المجتمع الطبي لوثوا الثوب الأبيض، مثلما يُدنس الثلج في القطب الشمالي بسبب نوع من أنواع الطحالب الخضراء يسمى «كلاميدوموناس

الثلجي» تسكن المناطق الشاهقة من الجبال الثلجية، وعندما يأتي الصيف يفرز صبغة حمراء تظهر عندما يذوب الثلج وينتشر في الماء السائل فينتج بقعة حمراء ثلجية شاذة بين بياض الثلج الناصع، وتسمى تلك الظاهرة بالثلج الأحمر، وهُم مثله تمامًا هُم الطحالب الفاسدة في جبل الثلج الطبي وكان يجب التخلص منهم جميعًا، ومن ينال هذا الشرف غيري، فلا يوجد سوى ملاك واحد.

قلتها منفعلًا غاضبًا حتى إني بدأت بأخذ خمسة أنفاس زفير وشهيق طويلة حتى أهدأ، وعندما شعرت بالهدوء النفسي المطلوب، نظرت لمنصور وأكملت:

- ولذلك بدأت بدراسة الأمر من كل الجوانب بداية متى يكون التنفيذ؟ فاخترت أن يكون يوم التنفيذ هو يوم الحفل السنوي حفلًا ينهي على تاريخهم الأسود، حفلًا أوقع على نعيهم في آخر فقراته، حتى إني لقبت خطتي بالحفل الأسود، حفلًا يليق بهم حفلًا على شرف الموت، ولذلك كان يجب أن أعرف كل شيء عن الحفل السنوي، وحسب الترتيب المتفق عليه حسن هو المضيف لهذا العام فكان يجب أن أعرف كل شيء عن تحضيراته، استغللت أن حسن ضعيف كثيرًا بأمور التكنولوجيا في خطتي، ومن خلال مساعدة أحد المقرصنين استطعت أن أقرصن هاتف حسن

من خلال استقباله رسالة بسيطة مني مهنئه بالأخبار الجيدة عن المستشفى التي يقوم بإدارتها على مواقع الصحف الإلكترونية، ومن ضمنهم رابط مقرصن ليصبح هاتفه وكأنه في جيبي، وكل يوم أقوم بتفتيش ذاكرة الهاتف لعلي أعرف أي معلومة تفيد باستعداده لتحضير حفلنا السنوي، وبعد حادثة ابنه وإصابته بالشلل افتعلت مشاجرة بيني وبينه أثناء زيارتنا له وشككت في إصابته من الأساس، واتهمته بقتل ابنه وثار معي الباقون وغادروا وهم مقاطعونه، ولكن بعد ذلك تواصلت معه في محاولة لتهدئة الأجواء ومعرفة متى سوف ينوي لإقامة الحفل، ولكن كان اللعين هذا قد تغير كثيرًا ولم يصبح معي مثل السابق برغم أننا كُنّا قريبين جدًّا وكان يخاف منَّا باقي المجموعة، فأهملت طريقتي المباشرة واكتفيت بمراقبة هاتفه حتى جاء اليوم الذي تصفحت فيه ذاكرة المتصفح الإلكتروني الذي يستخدمه لأجده يقوم ببحث عن فيلا للإيجار يوم واحد، حينها تابعته بتمعُّن وعن كثب كل شيء يفعله حتى علمت باختياره لإحدى الفيلات في إحدى المجمعات الجديدة غير المأهولة بشكل كبير، وعلمت متى سوف يكون حجزه، وبالفعل ذهبت لمعاينة المنزل جيدًا وكيف يمكنني استغلاله بشكل جيد.

تحمست في الحديث حتى إنني نهضت من جلستي، وبدأت أتحرك حول فراش منصور وأنا أردف بحماس:

- وبالفعل جاءتني دعوة الحفل في الموعد المحدد، ولكي تكتمل الليلة كان يجب غلق أول باب دم تم فتحه بسبب هؤلاء الملاعين وهي الجريمة التي حدثت يوم وفاة العندليب، وكان أهم ركنين فيهم هو أولًا القاتل الأساسي الطحاوي، ولذلك منذ بداية خطتي العام السابق وأنا بدأت في البحث عنه وعثرت عليه وتابعته وعلمت كل شيء يخصه، بأنه بجوار عمله لحادًا أصبح دجالًا يقوم بالأعمال السحرية النجسة، وقبل موعد الحفل بيوم واحد كنت قد حددت موعد للقائه، وبالفعل ذهبت للطحاوي وكان لا يتذكرني ولكن كنت أتذكره جيدًا، وفي جلستنا طلبت أن نكون وحدنا تمامًا فنفذ طلبي وخرج مساعده، وحينها تصنعت قصة خيالية أني متزوج بفتاة تصغرني بثلاثين عامًا وأريد أن أكون فحلًا أمامها، وأثناء نوبة بكائي الهزلية وأنا أمسك بذراعه وكأني سوف أقبلها حقنته بحقنة صغيرة مخدرة فوقع مغشيًا عليه ثم غرست حقنة أخرى تحتوي على مادة سامة تدعى (الأكونيت)، وخرجت أصرخ أنقذوا الشيخ، ليدخل مساعدوه والأهالي وأهرب في زحمة التجمهر، وهذا السم يقتله بعد ساعتين أو ثلاث ساعات ومن الممكن أن يصل لست ساعات حسب تركيزه، تبدأ الأعراض متقلبة بين طبيعة جسم والآخر بحمرة اللسان والفم والحلق وارتعاشات للشفتين والعضلات المحيطة بها وزيادة إفراز

اللعاب وانتقال الرعشة إلى الأطراف، وتنتهي بالموت المحقق ليلقي حتفه في المستشفى، وهناك استطاع الدكتور عبد العظيم تسليمها لي، لتكون هي بداية اللعنة والتي سوف تفتح لعنات الموت عليهم جميعًا، وكان من المفترض شق صدره ووضع ورقة اللغز بها، رفضت تلك الفكرة ورغبت أن تكون في مكان ظاهر أكثر من هذا الشق الذي من الممكن أن يؤثر على الورقة بالسَّلب وأخسر أهم شيء وهو مفتاح اللغز من الأساس.

استدرت نحو منصور وأشرت نحوه وأكملت:

- ثاني ركن هو الضحية ولا أنكر بحثت كثيرًا عنك ولم يكن من السهل الوصول إليك، وما إن وصلت لك بدأت في دراستك بشكل جيد وكيف يمكن أن أستغلك حتى جاءت الفكرة أن تقوم أنت بدور الضابط، وكانت طريقة أن أبلغك أن جدك قُتل ولم يَمت مثل ما قيل لوالدك، طريقة جاذبة جدًّا لإقناعك، ولذلك كلفتك بتمثيل دور الضابط وأرسلت لك المكان المراد تواجدك فيه ومتى موعد التنفيذ وكل التعليمات، وأولهم أن تتقمص دور الضابط بشكل جيد ولقد سألت في القسم وعلمت أن هناك ضابط تحقيقات جديد اسمه محمود صقر، وتركت لك في صندوق بريدك رسالة تحتوي على بطاقة الهوية المزورة باسم الضابط لجعل

الكذب يشبه الحقيقة أكثر، وثانيهم بألا تسمح بأن يخرج أحد من المنزل مهما كان، وثالثهم أن توافق على تأخير إبلاغ قسم الشرطة بالجريمة بناء على عرضٍ سوف يُقدَّم لك أمامهم، ورابعهم لا تجعل أحدًا يقترب من أي جثة مهما حدث، والأهم أن تخرج سريعًا بعدما ينتهي الحفل ولا تشغل بالك بهويتي أو من المُدبِّر لكل هذا، وأمام ذلك سوف أكافئك بأن أجعلك تعرف حقيقة مقتل جدك ومن فعلوا تلك الجريمة وسوف تراهم وهم يموتون أمامك دون أن تدنس يدك أو تُتهم بأي شيء، سوف أجعلك تستمتع بمشاهدة عدالة السماء عندما ينفذها ملاك الدم.

ضحكت ولم أستطع أن أمنع نفسي من القهقهات العالية فمسحت الكرسي وجلست مرة أخرى ثم قلت ساخرًا له:

- اعذرني آسف عما سوف أقوله، أنت أغبى ضابط مباحث شاهدته في حياتي، استحسنت في البداية دخولك الصارم، وأسلوبك الحاد والمختلف في التحقيقات السريعة التي أجريتها معنا، ولكن تسرسبت منك زمام الأمور حتى تم دفعك مرتين ووقعت أرضًا من رجال ضعف عمرك، ولم تتجرأ باستخدام السلاح حتى ولو في الفراغ مهددًا الجميع به، اختفى دورك من كونك ضابط مباحث إلى مجرد متفرج، نعم كان هدفي أن تراقب وتسمع ما فعله هؤلاء الملاعين،

ولكن ليس أن يصل بك الحال ليختفي دورك بهذا الشكل.

انفعلت وصحت غاضبًا:

- وفي النهاية عندما ينتهي الحفل لا تنفذ أمري الأخير وتصعد لأعلى، وهذا استفزني كثيرًا مما جعلني أقرر قتلك ولكن ليس في هذا المنزل، لأن تواجُدك سوف يفسد خطتي، ولذلك ضربتك على رأسك ونقلتك معي بهدف قتلك بعيدًا، وها أنت تنتظر مصيرك النهائي ولم يتبقَّ في زمنك سوى ساعة أو أكثر قليلًا.

فوجئت بدخول دكتور عبدالعظيم الغرفة مناديًا عليَّ:

- دكتور جلال هل تم تسليم الكُلية A+؟

التفت له غاضبًا ونهضت من جلستي وتوجهت نحوه بخطوات جافة، ورفعت سبابتي ودنوت من وجهه محذرًا:

- حذرتك من قبل ألا تقول اسمي هنا أبدًا، في عالمي هذا أنا أُدعَى الملاك، الملاك .. هل استوعبت الآن؟

- نعم أعذرني يا ملاك، هل يمكنك أن تجيب على سؤالي يا ملاك؟

رغم شعوري بأن أسلوبه يمتزج بنبرة ساخرة لكني تخطيت عنها وجاوبته، وتركني ورحل وأغلقت الباب مرة أخرى

وعدت لقتيلي القادم أو عبدي المستقبلي الراقد على الفراش، وقبل أن أجلس على مقعدي الخاص مسحته بمنديل جديد ثم ألقيته في سلة القمامة وجلست عليه، ورفعت قدمًا على قدم حتى تتوقف هزات رجلي ودنوت برأسي نحوه وقلت له بحماس:

- هل تريد أن تعرف من كان يساعدني في تنفيذ الخطة ومن كان بالأعلى يفتح التلفاز ويشاهد الأفلام ويرسل الرسائل والألغاز؟ إنه هذا الشيء.

رفعت هاتفي أمامه ثم أردفت بنشوة:

- نعم، لقد قام هذا الشيء بمساعدتي بشكل جيد، في البداية قمت بتأجير الفيلا عشرة أيام تنتهي قبل يوم الحفل بيوم واحد كي تكون فترة كافية للتدريب ودراسة تنفيذ الخطة ودراسة جميع الاحتمالات الممكنة، وطلبت من شركة إلكترونيات أن تحول الفيلا إلى نظام التحكم الذكي «Smart Home» والذي يمكنني من خلاله تشغيل وغلق كل شيء عن بُعد من خلال الهاتف، وهذا ساعدني في غلق الكهرباء في البداية وإعادة تشغيلها مرة أخرى، وتشغيل التلفاز وغلقه، ولا أنكر أن الخطة (أ) كانت تنص على تشغيل التلفاز تلقائيًا في موعد قد حددته له سابقًا، حتى إرسال الرسائل المشفرة بالألغاز ورسائل أماكن القارورات كنت قد

ضبطت لها مواقيت محددة مسبقًا، وهذا في اعتقادٍ مني أنك كضابط مباحث سوف تأخذ منا الهواتف وتمنعنا من استخدامها وتبقيهم أمامك أو نستعملها حسب طلبك أو لفتح الرسالة المستلمة فقط، وتظل أنت متحكمًا في قيادة المشهد.

مسكت فمي في محاولة مني فاشلة لمنعه من الضحك ثم أكملت:

- ولكن كانت هذه أولى إشارات غبائك بأنك تركت الهواتف معنا، وهذا ما دفعني أن أنتقل إلى الخطة (ب) وهي أن أدير أنا الرسائل بشكل شِبه يدوي إذا لزم الأمر مثلما حدث في تأخُّر رسالة حسن بمكان القارورة لأن أنور بما فعله حطم مبدأ الاختيار فقررت أن أؤجل رسالة حسن لبعد رشدي وكأنها مكافأة مني له لأنه الوحيد الذي ظلَّ حيًّا حتى النهاية، وكانت قارورته للعلم مثبتة تحت سطح الطاولة، التي كانت أمام المقعد الذي اتخذته ككرسي تحقيقات لنا، لكنه فاجأني ورفض حتى أن يذهب لها ويأخذها، والمكان الذي خصصته لأداء دور موتي كان مميزًا أنه جعلني أفعل هذا دون أن يلاحظني أحدٌ، ولا أنكر أن الأحداث تطورت بشكل أكثر من تخيُّلي وترتيبي، مثل كسر الزهرية التي بها قارورة أنور جعلت الأحداث تزداد سخونة.

اهتز جسدي من الضحك ثم أكملت:

- هذا غير عدم بَوح عزمي بأنه عثر على قارورتين وليس واحدة كما زعم، وهذا ما جعلني أغيّر الخطة وبدلًا من انتظار رسالتي وأرفض أن أفشي سري وأكمل مبدأ الاختيار الذي فسده عزمي في البداية، وكانت قارورتي المفترضة للخداع في الزهرية الثانية التي كسرها أنور ليمنع طه من النهوض واللحاق به، ولذلك كانت الخطة البديلة أن أتقدم نحو عزمي عندما سقط لكي أبرر لكم فيما بعد كيف عرفت بأمر القارورة الثانية.

نظرت له منتشيًا ثم أردفت:

- لا أنكر أني استمتعت بالتغيرات التي طرأت على خطتي كانت عشوائية، ولكن عشوائية منتظمة بسبب دراستي وتوقعي لكل الاحتمالات، بالطبع ترتيب الألغاز والرسائل كان معدًا مسبقًا، لكن عند تعديلها أضافت إثارة زائدة.

دنوت منه وهمست له ساخرًا:

- هل تعلم أن كل القارورات كانت تحتوي على سم، ولا يوجد ترياق واحد وكان هذا خدعة لزيادة الحماس وغريزة البقاء لهم ليس إلا، وهو نفس السم الذي استخدمته مع الطحاوي، وكانت الخطة (أ) المعدة بالرسائل المثبتة على

فرض اعتراف الجميع بأسرارهم ويأخذون القارورات التي بها السم، حتى لو عثروا على قارورتي فسوف يكون لكي أثبت أن عددهم سبعة وأبعد الشك، وفي النهاية سيكون الموت بالسم للجميع، ولا أكسر الخطة أو أتدخل إلا إذا حدث شيء يخالف هذا فألجأ للخطة (ب)، وهذا ما حدث بعدم كشف عزمي بالقارورة الثانية، وسقوط الزهرية وكسر قارورة أنور، ثم شجاره مع طه والذي انتهى بحقن القارورتين في جسده كان هذا رائعًا وممتعًا جدًّا، امتناعي عن حل اللغز وإخبارهم بسري الخاص كان هذا معدًا مسبقًا في الخطة كي أقوم بتحذيرهم بألا يكذب أحد ففي كل الأحوال سوف يفضح سره، حتى أول قارورتين كانتا تحتويان على مادة سم، ولكن بتركيز مختلف وكان المقصود بها عزمي لأنه سيكون أول المجربين، ولأني أعرف مرضه بالسكري فكانت المادة من أعراضها أن تقلل نسبة السكر في الدم بشكل مفاجئ فيسقط في غيبوبة سكر، ولذلك أخبرتك لا تجعل أحدًا يلمس الجثة مهما حدث، لأنهم كانوا سوف يكتشفون تلك الخدعة، وعندما كنت أرقد بجانبه خلف البار حان وقت إفاقته كي أجعلهم يشكون أكثر فيه، ولذلك حقنته بحقنة أنسولين جعلته أفاق مرة أخرى، ولكن كان السم قد انتشر في جسده وتوفى بعدها بدقائق.

عدلت من جلستي غرورًا وأكملت بحالة من الابتهاج:

- أما عن حقني لنفسي فكانت خدعة بسيطة عندما ألقيت اللوم عليك بأنك تآمرت مع عزمي في إخفاء القارورة الثانية توجهت كل العيون نحوك، وحينها أفرغت محتوى الإبرة في الأرض سريعًا بضغطة واحدة ثم وضعت السن فقط في ذراعي وسحبته عندما نظروا لي مرة أخرى، لكن ما فعله حسن في النهاية برفضه البحث والحصول على قارورته ثم انتحاره، جعلني منتشيًا وكنت أريد أن أصفق من شدة سعادتي بتلك النهاية.

قبضت على تلابيب ملابس منصور وقلت بوجه حانق:

- حتى جئت أنت وعكرت سعادتي بِعدم امتثالك لأوامري.

تراخت قبضة يدي عليه وعدت للخلف قليلًا وأنا أقول بشيء من الجدية:

- ولكن حتى هذا كان شيئًا جيدًا لأني قررت قتلك بدلًا من تركك تعيش بنشوة الانتصار الزائف والانتقام الوهمي.

هنا توقفت عن الحديث فلقد كانت وصلت أغنية «رمش عينه» في أذني للمقطع المفضّل لي وردَّدته وأنا مغمض العينين مدندنًا:

«شفة وردي وسِنة لولي.. من بعيد اتبسمولي

صَورولي الحب جَنّة.. وأعمل إيه يا ناس قولولي

غصب عني مش بخاطري .. للجَميل سلمت أمري

مين ياناس يحكم ما بين قلبي وبينه

رمش عينه اللّي جارحني رمش عينه»

تركت موسيقى محمد الموجي تداعب أذني ونظفت يدي جيدًا وأمسكت الهاتف وتصفحته عدة دقائق، ثم نظرت لمنصور الراقد أمامي وأنا في حالة من الفخر بسبب ما قرأته على المواقع الإلكترونية مما دفعني لفتح أحدهم وقراءة الخبر له فقلت بصوت عالٍ يملؤه التباهي:

- أنصت لهذا الخبر جيدًا، العنوان «حفل انتحار طبي»، أكدت التحقيقات فيما يخص القضية الغريبة التي حدثت في مدينة (الحياة سيتي) أنها لم تتجاوز حفلة انتحار جماعي لمجموعة من الأصدقاء يمتهنون مهنة الطب، اثنان منهم حقنا أنفسهما بمادة سامة بإرادتهم، واثنان ماتا بطَلقٍ ناري واحد أطلق النار على الآخر، ثم أطلق النار على نفسه، واستخدم سلاحًا مزودًا بكاتم للصوت حتى لا يشعر به أحدٌ، والأخير تناول دواءً ضاعفَ من ضرباته قلبه فقتله في الحال، وبرغم العثور على مادة سامة في معدتهم إلا إنها تأثيرها كان ضعيفًا وغير مميت، وكأنهم كانوا مصرّين على

الانتحار، وعندما لم تنجح التجربة الأولى فلجأوا لتجربة الثانية، وأن مالك الفيلا اكتشف الجريمة عندما جاء في اليوم التالي لاستلام الفيلا، وأكد النقيب محمود صقر ضابط المباحث أن قسم التحليل الجنائي عثر على رسالة يعلن واحد منهم فيها نيته على الانتحار، هذا غير أن آثار العنف التي ثبتت في مسرح الجريمة تمحورت بصماتها بينهم، ولم يتضح هل هو نابع عن مزاح أو شجار نشب بينهم، وتم العثور أيضًا على منديل ورقي مرسوم عليه لعبة كلمات متقاطعة قد تم حلها بشكل كامل وعند تحليلها وجدوا أنها تكونت من مجموعة كلمات وأفعال سلبية ولكنها تنم عن الحالة النفسية التي وصلت بهم في النهاية للانتحار».

ضحكت ساخرًا فخورًا بما أنجزته ثم أردفت:

- أترى ذكروا أنهم خمسة فقط ولم يأتِ الخبر بشيء عني، وهذا للتخطيط السليم فلقد تعمدت ألا أترك أي بصمة لي، وهم لن يستغربوا هذا لأنه تصرُّف طبيعي مني لأني مريض بالوسواس القهري، حتى كأسي أخذتها معي ونظفت مكان رقدتي خلف البار، ولقد لاحظت أنك أخذت أمري لك بعدم لمس شيء في المنزل، بداية من غلق الباب بقدمك وعدم جلوسك على أي مقعد، ولكن سقطتك أرضًا جعلتني أمسح مكانك، وهذا كله للاحتياط ليس أكثر لأنهم حتى إذا عثروا

على بصمات لنا لن يؤثر على القضية بأي شكلٍ، وذلك لسببين.

أشرت بالسبابة والوسطى ثم قلت بنبرة يملؤها الثقة:

- أولهما أنها جريمة انتحار وليست قتلًا ولا يوجد شيء آخر يجعلهم يظنون بغير ذلك، ثانيًا مسرح الجريمة ما هو إلا فيلا تؤجر باليوم، أي هناك عشرات البصمات غيرنا، أما عن جثة الطحاوي فأعدتها إلى الدكتور عبد العظيم كما أخذتها منه، ونظفت جيدًا أسفله.

رفعت حاجبي ومِلت برأسي في اتجاهه مبتسمًا وقلت متسائلًا:

- أتريد أن تعرف كيف أدخلت جثة الطحاوي المنزل؟ أشعر أن الفضول يتملكك لتعرف كيف.

أشرت له بكف يدي مهدئًا وأجبت:

- حسنًا.. حسنًا سوف أخبرك.. أثناء فترة إيجاري للفيلا قبل ليلة الحفل كنت أبحث عن طريقة جيدة لإدخال جثة الطحاوي بطريقة سريعة ودون أن يلاحظ أحد، هذا غير أنني تدربت على حمل ما يقارب وزنه والتحرك به سريعًا، جربت عدة طرق حتى توصلت لفكرة جيدة، والتي يجب فيها أن أكون أول الحاضرين بعد حسن المضيف، وهذا

سوف يتحقق من خلال مراقبة الفيلا من بعيد وما إن يدخل حسن من بوابة الفيلا أدخل خلفه وأركن السيارة في مكان قريب جدًّا من الباب، وبالفعل وصل حسن وتبعته بالسيارة ليتفاجأ بوصولي مبكرًا، سبقني السائق ووقف به أمام الباب مباشرة وأجلسه على كرسيه المتحرك، ثم أدخله للداخل ودخل معه وهو يحمل بعض المشتريات الخاصة بالحفل وأثناء خروجه من المنزل سمعت حسن وهو يأمره أن يغادر الآن ويأتي له في ظهر اليوم التالي ليسلم الفيلا للمالك كما جاء هو اليوم واستلمها منه قبل أن يعود لينقله.

فركت يدي بعضهما ببعض كأني طفل سعيد وأكملت:

- ما إن دخل حتى وجد مفاجأتي الثانية؛ أن طقم الخدم الذي طلبه لأعمال الخدمة والضيافة لم يصل بعد. حاول الاتصال بهم لكنهم اعتذروا له كما اتفقت معهم، وذلك لأني علمت من خلال مراقبتي لهاتفه عن طلبه لهذا الطاقم والذي أقنعته أن اليوم هو عيد ميلاد حسن ونريد أن نقوم له بمفاجأة ودفعت لهم أُجرتهم كاملة، وأخبرتهم إذ اتصل بكم اعتذروا له، وهذا ما حدث فما كان أمام حسن سوى أن يعتمد عليَّ وأننا سوف نخدم أنفسنا بسبب ضيق الوقت وصعوبة طلب خدم ضيافة أخرى في هذا الوقت الضيق، لذلك طلب مني أن أحمل المشتريات التي تركها السائق

وأضعها بالمطبخ وتابعني هو إلى هناك بكرسيه المتحرك، وبدأنا في إفراغ محتوياتها في أطباق صغيرة، وما إن رأيت زجاجة النبيذ حتى ألححت عليه أن يشرب كأسًا صغيرة معي ولكنه رفض رغم إلحاحي، وكنت قد تعمدت أن أقوم بفتحها أثناء إلحاحي وكأنه شيء غير مقصود، حتى استغل الفرصة فيما بعد وأضع فيها السم التي سوف توهمهم الأعراض الخفيفة أنها سُم، ولكن لن تقتل كما ذكر التقرير الطبي وهذا هو المقصود حتى تبدأ اللعبة والمخاطرة.

أشرت بسبابتي له منبهًا ثم أردفت:

- وإن تناولتها معهم فسوف أشعر مثلهم بنفس الأعراض ولكني لن أموت، لأن الموت حسب خطتي كان مصدره السم المُركَّز الحقيقي الذي يوجد في القارورات أو الترياق الوهمي، ولكن ما إن لاحظ حسن أن زجاجة النبيذ فُتحت غضب وثار وأمرني أن أُفرغ باقي المحتويات في الأطباق حتى يعود، وبالفعل انتهيت من الأطباق، ووجدته بجوار البار يرتب ست من الكؤوس بجوار الزجاجة، فقلت معترضًا:

- لا يا حسن لا يمكن أن أشرب في شيء لا أثق في نظافته.

فردَّ عليَّ مضجرًا:

- أنت سوف تتعبني بوسواسك هذا ونحن في بداية اليوم

خذ الكؤوس ونظفها كما تريد وأعدها هنا مرة أخرى.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهي ثم قلت بنبرة يملؤها الحماس:

- وكانت فرصتي لتصحيح الخطأ الذي حدث فلقد أخذت الكؤوس وذهبت بهم للمطبخ وغسلتهم جيدًا ثم قررت العودة لخطة العام السابق ووزعت السم بدلًا من خمس نقاط في الزجاجة مثلما كان معدًّا سابقًا وضعت نقطة واحدة في كل كأس ما عدا كأسي أنا، وكان تأثيره ضعيفًا بعض الشيء، ولكنه أوفى بالغرض منه وشعر الجميع بألم التسمم في البداية كعرضٍ بسيطٍ وذلك حتى يشعروا بجدية وخطورة الموقف، وحملت الكؤوس ووضعتها بشكل هرمي على البار، وجعلت كأسي هي الكأس الثانية من قاعدة هذا الهرم، وجاء الجميع في النهاية، حتى أمر حسن طه بتحضير طقس البداية وذهب لتوزيع النبيذ حينها تعمدت أن أكون الأقرب للبار من بين الجميع وراقبت طه وكأسي جيدًا وتقدمت عنهما، ومددت يدي كي أسبقهم حتى لا يأخذ أحد كأسي قبلي وبتلك الطريقة أصبح تركيزي أفضل ويكفي أن أمثل معهم بشعوري بالأعراض فقط.

شعرت بأن عيني تبتسم وأنا أتذكر ما حدث أثناء وصفي له فقلت:

- وعندما لاحظت أن الجميع تناولوا النبيذ ومنهم مَن أفرغ كأسه جاءت اللحظة كي أبدأ الجزء الأكبر من خطتي، وفتحت هاتفي وأمرت بغلق الإضاءة بشكل كامل على المنزل، وبالفعل حدث ما رغبت فيه وكنت أنوي أن أقترح أن نفترق بحثًا عن لوحة المفاتيح الأساسية لدفعهم لما أرغبُ فيه، كما فعلت في أول لقائنا معك على الباب كنت أول من صاح واعترفت بوجود الجثة واتهام حسن بأنه هو المدبر، وكنت أول من تحدّث في بقائنا بالمكان حتى تنتهي المدة بدلًا من إبلاغ القسم، ثم تبعني البقية، كنت أعلمهم جيدًا ولكن في تلك المرة سبقني طه في محاولة لفرض سيطرته المعتادة واقترح ما كنت أنوي عليه.

شعرت بالضيق قليلًا ثم أكملت:

- وما إن خرجت من الباب اختبأت خلف سيارتي جيدًا حتى لا يراني أحد، وعندما تأكدت بأن حسن فقط من بالمنزل، أخرجت الجثة من السيارة وحملتها وجئت وطرقت على النافذة الجانبية كي أجذب حسن نحوها وأبعده عن الباب، وذهبت سريعًا كما تدربت في فترة إيجاري حتى وصلت للباب، ولكني تفاجأت بعودة حسن وذهابه نحو المطبخ، وكان من المخطط أن أضع الجثة بجوار البار ولكن ما طرأ جعلني أضع الجثة بهدوء أمام الباب في الباحة بين

الصالونين وأخرج سريعًا للخارج، ثم أمسكت الهاتف وأعدت الإضاءة مرة أخرى للمنزل وما إن رأيت خيال الباقيين قادمين مثلت أني قادمٌ من الجانب الآخر والتقينا عند الباب لنسمع صياح أنور وندخل ويتفاجأ الجميع بالجثة الراقدة أرضًا.

نظرت له وضحكت وقلت ساخرًا:

- سوف تُصدَم لو علمت أن سبب شجارنا قبل مجيئك ليس لأننا اكتشفنا الجثة بيننا فقط، ولكن لأننا علمنا هويتها، فبرغم أننا رأينا الطحاوي مرة واحدة إلا أننا نتذكر ما حدث بكل ما فيه سنويًّا لمدة أربعين عامًا، وكان حسن أول من اكتشف ذلك بحكم أنه أكثر واحد فينا قد تعامَل معه، وأكد على الجميع شكوكهم أنه الطحاوي، ففزع الجميع وصاحوا كالقرود، ولكن عندما جئت أنت وصرخ حسن أمامك في البداية وهو يقسم إنه لا يعرف تلك الجثة، علم الجميع الأمر والتحذير المتستر منه الذي أخرسهم وكتم الجميع هذا السر حتى النهاية، كم هم أغبياء وحمقى فعلًا.

تنهدت وأنا أبتسم وأصفق لنفسي:

- ألم أقل لك؛ كانت خطة عشوائية ولكن عشوائية تتستر بسرعة البديهة، آسف لقد أطلت عليك سوف أتركك تستريح قليلًا، أمامك نصف ساعة وسوف تكون في حوض

الاستحمام الذي سوف ينظف كل شيء قذر فيك ولن يترك سوى العظام، ولا تقلق فعمك الملاك سوف يخرجها صَدقة عليك للكلاب الضالة.

خرجت وطلبت من الدكتور عبد العظيم تحضيره وأني سوف أذهب لتحضير حوض الاستحمام وملئه بحمض الهيدروفلوريك العظيم، وبدأت في ارتداء الطقم الطبي العازل وقناع الغاز حتى لا أتأثر برائحة الغاز، وموسيقى محرم فؤاد تداعب أذني كعادته وهو يقول:

«غدارين.. مش بقولك غدارين

ليه يا قلبي تقولي لأ هما مين

لسه بتقول هما مين وانت عارف دقة دقة

اللي فاكرهم حبايبي.. طلعوا مش حاسين بحبي

غدارين.. غدارين»

وما إن بدأت في ملء الحوض حتى وصلت لنصفه لأتفاجأ بطَرقٍ على باب الحمَّام من الدكتور عبد العظيم ووجهه يملؤه الذهول صائحًا:

- لقد أفاق اللعين، فهل ما زلت متمسكًا بقتله؟

نظرت له في حسرة وجاوبته:

- الملاك لا ينقض وعدًا ولا يحنث قرارًا، ولقد قررت بأني لن أقتله إذا أفاق قبل المهلة المحددة.

خلعت الزي الطبي المعقم وارتديت المعطف الطبي وعقمت يدي جيدًا ثم سألته:

- وكيف حالته الآن؟

أجابني ونحن في الطريق له قائلًا:

- لم أرغب أن آتي لك إلا بفحصه قليلًا، وبالتشخيص المبدئي أرى نفس ما أخبرتك به سابقًا؛ عاهة في عضلة اللسان وفقدان ذاكرة كلي من الممكن أن تعود رغم إنه احتمال ضعيف.

توقفت مفكرًا قليلًا ثم قلت:

- سوف نعمل على إلغاء هذا الاحتمال من الأساس، من خلال منحه خطة علاجية تدمر إدراكه العقلي بالتدريج وتطيل عمر فقدانه للذاكرة القديمة، وسوف يكون هذا تحت إشرافك الكلي، والآن سوف ندخل عليه وحذاري ألا تتكلم إلا عندما آذن لك.

- تمام.

فتحت الباب فوجدت منصور يتفحص المكان وعينه

تذهب يمينًا ويسارًا وما إن رآني بزيي الطبي حتى قال:

- أين أنا يا دكتور؟

ابتسمت وقلت بوجه باش:

- قبل أن أجيبك أين أنت، يجب أن تَشكر هذا الرجل العظيم.

وأشرت نحو الدكتور عبدالعظيم ثم أردفت:

- هذا الرجل الذي أنقذ حياتك، وأصبحت شريكًا معنا في هذه الدنيا، إنه الدكتور عبد العظيم.

رسم منصور ملامح البلاهة ثم ابتسم ابتسامة مزيفة وقال:

- شكرًا يا دكتور عبد العظيم على ما قُمت به من أجلي والذي لا أتذكره، آسف.

أمسكت ذراعه وكأني أقيس نبضه وقلت دون أن أنظر له:

- رغم أنك قتلت شخصًا بالخطأ لكن ما عرفناه عنك يشفع لك في النهاية.

فزع من كلماتي وحاول النهوض ولكن منعه ألم الرأس وقال في خوف وتلعثم:

- أنا قتلت؟ قتلت مَن؟

ربت على يده وأنا أقول:

- كنت في شجار مع ابن عمك أطلقت عليه النار بالخطأ، وأثناء هروبك ضربك على رأسك أحد أقاربه فسقطت في الماء فاقدًا الوعي، والغريب في الأمر هذا أن من انتشلك من الماء ظن أنك توفيت، ولكن عندما جئت للمستشفى لاحظ الدكتور عبد العظيم أنك ما زلت حيًّا، ولكن عندما خرج ليخبر أهلك، بحث عنهم ولم يعثر على أحد منهم، ووجد فقط أهل القتيل متربصين لك ولأهلك إذا جاء أحد منهم فسوف يقتلونه، فأخبرهم حينها أنك توفيت، وأقاربك للأسف لم يأتوا لكي يتسلموا جثتك حتى؛ خوفًا من قتلهم بسبب الأخذ بالثأر.

- لا أتذكر شيئًا مما تقوله يا دكتور.

قالها في حزن ويأس فأشرت نحو الدكتور عبد العظيم وقلت مطمئنًا:

- لا تقلق هذا من أثر ما حدث لك، ولكن سوف تتذكر عما قريب، وهذا وأنت تحت إشراف الدكتور عبد العظيم الطبي.

أشرت للدكتور عبد العظيم للحديث فقال بنبرة جادة:

- نعم سوف تكون تحت خطة علاجية جيدة بإذن الله.

ابتسمت لعبد العظيم كإشارة له أن يصمت وأردفت مطمئنًا:

- ولقد قررنا أن نساعدك سوف نقوم باستخراج بطاقة وورق مزيفين باسم آخر لك، وسوف تعمل أمين مخزن بالمشرحة التي يدير قسمها الدكتور عبدالعظيم حتى تكون بعيد تمامًا عن أعين أقاربك، اطمئن.. لا تقلق.

أومأ برأسه موافقًا وقال بنبرة حزينة:

- ليس في يدي شيء الآن سوى أن أنفذ أمركم، فهذا قدري.

نظرت له متأثرًا ثم قلت بحماس:

- نعم أنت قدري، اسمك سوف يكون «قدري ملاك».

«أخطاء الماضي هل يمحوها الندم أم النسيان؟»

تمت بحمد الله

21 سبتمبر 2021

محمد حياه

لغز الثلج الأحمر

الكلمات الرأسية:

1- السر الثاني.

2- رضِي عن الشيء ووافق عليه (معكوسة)، فعل مضارع بمعنى أتضجَّر.

3- مرادف «مخالف»، أهان بكلام جارح (معكوسة)، نصف «امتنعت» الثاني.

4- وصف الشيء الناقص (معكوسة)، ما تحتويه السنبلة

(معكوسة).

5- تم فصله من العمل، مفرد وُشاة، أسلوب نداء (معكوسة).

6- مرادف «معركة» (معكوسة)، صوت الإنسان عند الغيظ (معكوسة)، قوم ظهروا بعد وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

7- عندما يتدفق السائل بسهولة (معكوسة÷

8- مرادف «يُبصر» (معكوسة)، وصف الطاغية العملاق (معكوسة).

9- مفرد «أفواه»، شهر أتى اسمه من اسم إله يوناني (معكوسة).

10- السر السادس.

الكلمات الأفقية:

1- اسم العائلة.

2- السر الثالث.

3- السر الأكبر.

4- السر الخامس.

5- السر الرابع.

6- حرف التعريف معكوسة، مرادف «خَدع»، زيف الشيء عن الأصل وحاول تقليده (معكوسة).

7- ما يُلف فيه الميت، نقض العهد في السر (معكوسة).

8- فئة خصها قرار أبراهام لنكولن في قانونه الرئاسي عام 1863م، شهوة كل العصور.

9- السر الأول.

---

(1)) يمكنك مسح الرمز بكاميرا هاتفك لمعرفة اللغز أو الذهاب لصفحة ٢٠٥ لمعرفة اللغز بالكامل.